وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سورة القتال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

بين يدي السورة

1- سورة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ: هي السورة السابعة والأربعون بترتيب المصحف، وهي السورة التاسعة في ترتيب السور المدنية-على ما ذكر الزركشي في البرهان[1]-أنزلت بعد سورة الحديد، وأنزلت بعدها سورة الرعد، وثمان عشرة سورة مدنية أخرى. أما السور الثمان التي أنزلت في المدينة قبلها فمن بينها سورة البقرة، وسورة الأنفال،... وسورة الأحزاب

2- هي سورة مدنية إذن، أنزلت بعد الهجرة بسنوات. ولعل من بين الأدلة على كونها مدنية قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيها، مخاطبًا نبيه ﷺ:

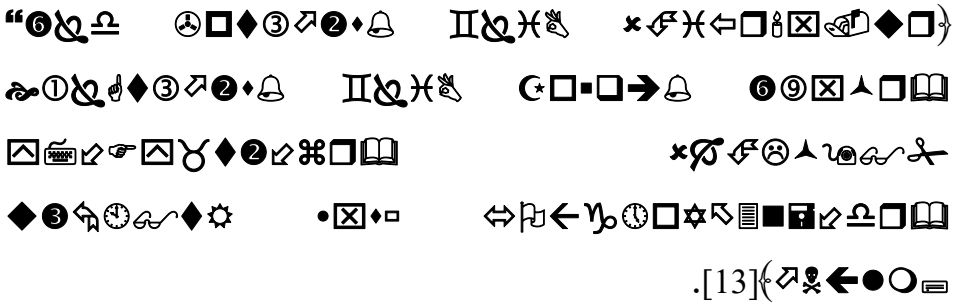

.[13]

كذلك من بين الأدلة على مدنيتها ما جاء فيها بشأن القتال،

(1) انظر ص 194 ج1 من البرهان في علوم القرآن، تحت عنوان (ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة) ومؤلفه بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي هو أحد علماء مصر الأثبات في القرن الثامن، وقد توفي في شهر رجب من سنة 794 هـ. أما كتابه هذافمطبوع في أربعة أجزاء، بتحقيق صديقنا الفاضل الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، وهو الأساس لكتاب السيوطي في الموضوع نفسه. (الإتقان).

This file was downloaded from QuranicThought.com

والأسرى، والنفاق، فما كان قبل الهجرة إِذْنٌ بالقتال، وحيث لا قتال فلا مجال للأسر. وما كان ضعف المؤمنين بمكة قبل الهجرة ليحمل أحد الكفار على أن ينافقهم، فيظهر الإسلام، وقلبه منطوٍ على الكفر.

أما الدليل على تـأخـر نزولها عـن الهجرة بسنوات, فهو نزولها بعد الأحزاب بأربع سور من بينها سورة النساء، وفي سورة الأحزاب حديث طويل عن غزوة الخندق التي وقعت في شوال سنة خمس للهجرة-على ما صححه ابن القيم، وقطع به الذهبي، واعتمده الحافظ ابن حجر العسقلاني- فهي إذن أنزلت بعد سنة خمس.

3- وإنما سميت سورة محمد؛ لأنها تقرر (أن الإيمان بما نزل على محمد متفرقًا أعظم من الإيمان بما نزل مجموعًا على سائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهو من أعظم مقاصد القرآن)[1].

وكما تسمى سورة محمد, تسمى سورة القتـال؛ لأنها تناولت بعض أحكامه، فأمرت به، وبينت حكم الأسرى نتيجة له، وهو حكمهم الباقي في الإسلام، بعدما كان في الأنفال من حكم يخص أسرى بدر.

وعدد آي السورة ثمان وثلاثون آية.

وهي تقع في الجزء السادس والعشرين من الأجزاء الثلاثين التي

(1) محاسن التأويل، وهو تفسير القاسمي: ص5371، وهي في ج 15 منه، وأرقام صفحات الكتاب مسلسلة في الأجزاء كلها حتى نهاية التفسير في الجزء الـ17، وبعدها تبدأ الفهارس (وهي خمسة) بأرقام مستقلة تبلغ 126 صفحة. وقد طبعته دار إحياء الكتب العربية بتخريج وتعليق الأستاذ الصديق محمد فؤاد عبد الباقي ـ رحمه الله ـ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

قسم إليها القرآن الكريم.

4- وقد تناول المفسرون علاقة هذه السورة بسورة الأحقاف، وهي السورة السابقة لها في ترتيب المصحف، على عادتهم في تلمس أسباب للربط بين السور، مع أن ترتيبها توقيفي لا اجتهادي، فقال فخر الدين الرازي في التفسير الكبير:(أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة، فإن آخرها: ﴿

.[1]﴾

وفي رأينا أن كل سورة وحدة مستقلة، وأن أسباب الربط التي يتصيدها المفسرون لا تخص سورتين دون غيرهما من السور، فلا داعي لتكلفها وافتعالها.

5- وفي سورة القتال(محمد) دعوى نسخ واحدة، هي الدعوى التي تنصب على الآية الرابعة في السورة وهي: ﴿

قالوا: إنها في أهل الأوثان، ولا يجوز

(1) ص 521 ج7 من مفاتيح الغيب الشهير باسم التفسير الكبير، وتفسير الفخر الرازي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن يفادوا، ولا أن يمن عليهم. والناسخ لها عندهم هو آية السيف.

ولكن هذا القول-وهو مرويٌّ عن ابن جريج والسدي وكثير من الكوفيين- ليس هو القول الوحيد للمفسرين في الآية، فإن فيها أربعة أقوال أخرى:

أولها: أنها في الكفار جميعًا، وأنها منسوخة كذلك: نسختها آية السيف عند جماعة من بينهم مجاهد. ونسخها عند قتادة، قوله تعالى: ﴿⌑⧫⌑✵❸♒⓾✍ ✉♑♍♑✉ ✍▢♊⇧]⌘⍓▣▫▦⌧♍←☠⍓[﴾(*)(1)، وعليه يجب أن يقتل الأسير من المشركين، إلا من قام الدليل على تركه من النساء والصبيان، ومن تؤخذ منهم الجزية.

وثانيهما: أنها في المشرك، وفي كل أسير. وأنها ناسخة لا منسوخة. وهو مروي عن الحسن وعطاء. روي عنهما أن الأسير لا يقتل، ولكن يمن عليه أو يفادى، وكان الحسن يكره أن يقتل الأسير، ويتلو: ﴿⌑⧫⌧♑✍□✍ ✍⧫☪✍ ✉⧫➔⍓⑨← ❒⧫◆✍♑✍□✍ ▫♎⑨⍓✂✎➚◷﴾، ولم يذكر الآية التي نسخت بها.

والقول الثالث: أنه لا يجوز الفداء ولا الأسر إلا بعد الإثخان والقتل بالسيف. وهو مروي عن سعيد بن جبير، وفي رأينا أن هذا هو منطوق الآية، فليس قولاً لابن جبير وحده.

والقول الرابع: وهو مروي عن ابن عباس بطريق ابن أبي

(*) كانت في الأصل المطبوع [خلقهم].

(1) 57 في سورة الأنفال.

This file was downloaded from QuranicThought.com

طلحة، وبه قال كثير من العلماء أن الآية محكمة، وأن قوله تعالى فيها: ﴿ ﴾ جعل النبي ﷺ بالخيار في الأسارى: إن شاء قتلهم، وإن شاء استعبدهم، وإن شاء فادى بهم، وإن شاء منَّ عليهم.

قال أبو جعفر النحاس:(وهذا على أن الآيتين محكمتان معمول بهما، وهو قول حسن؛ لأن النسخ إنما يكون بشيء قاطع. فأما إذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى في القول بالنسخ، إذ كان يجوز أن يقع التعبد إذا لقينا الذين كفروا قبل الأسر قتلناهم. فإذا كان الأسر جاز القتل والمفاداة والمن، على ما فيه الصلاح للمسلمين. وهذا القول يروى عن أهل المدينة، والشافعي، وأبي عبيد[1].

6- وابن الجوزي يذكر في الآية قولين:

القول الأول:أنها محكمة. وهو ينسبه إلى ابن عمر، والحسن، وابن سيرين، ومجاهد، وأحمد، والشافعي.

والقول الثاني: أنها منسوخة. وقد أسنده إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وإلى قتادة بعدة طرق، وإلى السدي، وإلى مجاهد (بطريق ليث وهو ضعيف) وإلى سعيد بن أبي عروبة، وذلك بعد أن قرر أنه مذهب ابن جريج, وأبي حنيفة.

لكنه يدع القضية معلقة، فلا يذكر رأيه فيها، ولا يبين مع أي الفريقين هو، وإن كان قد ذكر أن إمامه أحمد يرى إحكام الآية، والمتبادر

(1) الناسخ والمنسوخ: 220 - 222.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من هذا أنه كشيخه يرى أنها محكمة[1].

7- ويحكي الطبري-هو أيضًا- دعوى النسخ، فيورد آثارًا فيها عن ابن جريج، والسدي، وقتادة، ويسند إلى أبي بكر - رضي الله عنه - أنه قال في أسير أسر وكتب إليه في مفاداته:(اقتلوه؛ لقتل رجل من المشركين أحب إلي من كذا وكذا)، ثم يروي عن ابن عباس بطريق محمد بن سعد العوفي... إلى جده عطية، (والسند ضعيف؛ لأن جميع رجاله ضعفاء) أنه قال: «الفداء منسوخ، نسختها-أي نسخت آيته-:

﴿▫⬧⌧🙰❶⬧✤ ✤🙰⬧○❁🖬■⑦⍓ ✤🙰❀☞✱⇧🙵⬋❷⬉
✤🙰🖳⬂⧫⇦❷⬉🏲⬉ ▫⬧🙰🙰🕭⬂✌⇦🖬➔❐✤☎
✤🙰⚲⬂☺⇦⌑⇧❸⧬🕮⦰✓×⧫ ❍⍓⓿⬂❃⇦
❐⧫♊⍓⑨🙦🙤☺⇦❐⚲➔🏱⬄ ❐⧫⌘⬀⓿⬀❐⚲➔🏱⬄
❐⧫✤🙰○⇧⭦⓫❸⇦❐⚲➔☠⬁
❐⧫✤🙰🕭⬂➔⬉⑨⇦❐✤☎ ⚲⬧♑⇦☠⬁ 🗎➔🙭❐
⬧❺⬄⌚❁⑨🖮﴾[التوبة: 5] قال: فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة، وانسلاخ الأشهر الحرم»، ثم يسند الطبري دعوى النسخ إلى الضحاك أيضًا.

غير أن الطبري لا يكتفي بذكر هذه الآثار التي يدعي أصحابها النسخ على الآية، فيذكر آثارًا يذهب أصحابها إلى أن الآية محكمة وليست بمنسوخة، ويقولون:لا يجوز قتل الأسير، وإنما يجوز المن عليه والفداء. وأصحاب هذا المذهب هم: ابن عمر - رضي الله عنهما - (كما

(1) انظر دعوى النسخ على الآية في (نواسخ القرآن) له وهو مخطوط.

This file was downloaded from QuranicThought.com

روى الحسن البصري)، والحسن نفسه، وعطاء، وعمر بن عبد العزيز.

ثم يقول الطبري:(والصواب من القول عندنا في ذلك, أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بينا في غير موضع في كتابنا: أنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قالت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر.

وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المن والفداء والقتل إلى الرسول ﷺ، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل مذكورًا في هذه الآية؛ لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى، وذلك قوله: ﴿⬥◻✍✍⍓✌☜⬅◙➔❑✃☎
✃✍⍓◎⍓☺⬅⌑⇧❸⍉✍✍✓×⬥ ❍◘⓪⍓✵⬅
◻⬥♊◘⑨✍☙☺⬅◻♎➔⍉⇔﴾ الآية بل ذلك كذلك؛ لأن رسول الله ﷺكذلك كان يفعل، فيمن صار أسيرًا في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضًا، ويفادي ببعض، ويمن على بعض، مثل يوم بدر:قتل عقبة بن أبي معيط وقد أتي به أسيرًا. وقتل بني قريظة, وقد نزلوا على حكم سعد في غزوة الخندق، وساروا في يده سلمًا، وهو على فدائهم والمن عليهم قادر.

وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببدر، ومنَّ على ثمامة بن أثال الحنفي وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتًا من سيره في أهل الحرب، من لدن أذن الله له بحربهم إلى أن قبضه إليه ﷺ، دائمًا ذلك فيهم.)[1].

8- كذلك يرجح البغوي في معالم التنزيل أن الآية محكمة،

(1) تفسير الطبري: 26/ 26 - 27.

This file was downloaded from QuranicThought.com

و(أن الإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر: بين أن يقتلهم، أو يسترقهم، أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض، أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين. وإليه ذهب ابن عمر، وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء، وهو قول الثوري, والشافعي, وأحمد, وإسحاق، قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم, أنزل الله - عزَّ وجلَّ - في الأسارى: ﴿ ﴾ وهذا هو الأصح والاختيار؛ لأنه عمل به رسول الله ﷺ، والخلفاء بعد[1].

9- أما ابن كثير فيحكي الدعوى، ويذكر أنها مروية عن ابن عباس بطريق العوفي، وأن الذين قالوا بها هم: قتادة، والضحاك، والسدي، وابن جريج.

ثم يقول: (وقال الآخرون-وهم الأكثرون-:ليست بمنسوخة، ثم قال بعضهم: إنما الإمام مخير بين المنِّ على الأسير ومفاداته فقط، ولا يجوز له قتله. وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء؛ لحديث قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، من أسارى بدر. قال ثمامة بن أثال لرسول الله ﷺ حين قال له «**ما عندك يا ثمامة؟**»: (إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تمنن تمنن على شاكر، وإن كنت تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت).

(1) معالم التنزيل للبغوي: 7/ 496: طبعة دار المنار، وقد أسند المذهب إلى ابن عمر، والحسن، وعطاء كما رأينا، مع أن الآثار التي أوردها الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور تقرر أنهم يمنعون قتل الأسير (وانظر الدر المنثور: 6/ 46 - 47).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وزاد الشافعي ـ رحمة الله عليه ـ فقال: الإمام مخير بين قتله، أو المن عليه، أو مفاداته، أو استرقاقه أيضًا. وهذه المسألة محررة في علم الفروع. وقد دللنا على ذلك في كتابنا الأحكام، ولله ـ سبحانه وتعالى ـ الحمد والمنة[1].

ƎƎƎ

(1) تفسير القرآن العظيم 4/ 173.

This file was downloaded from QuranicThought.com

عرض عام للسورة

10- يقول الله - عزَّ وجلَّ - في الآيات الثلاث الأولى من سورة محمد عليه الصلاة والسلام:

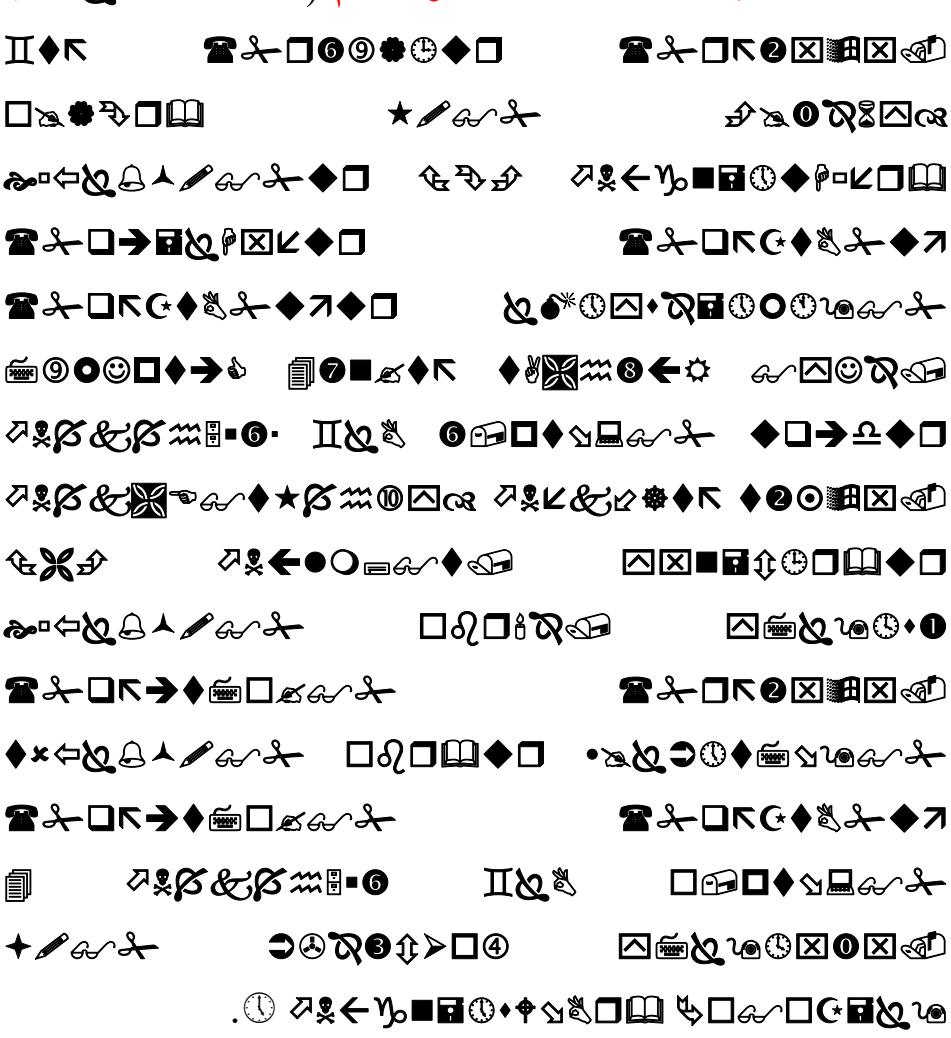

فيبدأ السورة بهذه الموازنة بين الكفار والمؤمنين، في جزاء هؤلاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأولئك على أعمالهم، وفي الأصل الذي انبنى عليه الجزاءان من اتباع الباطل أو اتباع الحق.

أما الكفار بالله، المنكرون لوجوده، أو لوحدانيته، أو لاستحقاقه العبادة، الصادون لأنفسهم عن الإيمان بالله، ولعقولهم عن اتباع الدليل على وجوب الإيمان... أو الصادون لغيرهم عن اتباع الحق: بدعوتهم أتباعهم إلى الكفر، أو بالقدوة السيئة نتيجة لكفرهم فقد حكم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عليهم بقوله: ﴿🕮❐⮊❁🖎❑ 🕮❐⬋▫⚐◆🕒🖬■♑⬅☠⬀﴾، ومعناه أبطل ما عسى أن يكون لهم من أعمال تبدو في ظاهرها خيرة، فجعلها كأن لم تكن. إما بسبب موازنتها بسيئاتهم التي ترجحها؛ لأن الكفر من بينها، وإما بسبب فقدها لشرط قبول العمل وهو الإيمان(1)، وإما لأنها لم يعملها الكافر لوجه الله تعالى، ضرورة أنه لم يؤمن به، فلم تعتبر!

وأما المؤمنون بالله، الذين يلتزمون هدى الإيمان في كل ما يأتون من الأعمال وما يذرون، فلا يتركون عبادة أمروا بأدائها، ولا يرتكبون معصية نهوا عن ارتكابها، الذين جمعوا إلى الإيمان بالله الإيمان بما أوحى إلى محمد ﷺ وهو لا غيره الحق، وقد أنزل من عند ربهم- فهؤلاء بيَّن الله حالهم في الدنيا بقوله: ﴿🖎☒⌧🙵⨀❷◆ ⬉◆❁⬃🙵⬋☠⬀

---

(1) يدل لهذا الشرط قوله تعالى: ﴿✍◆♊⇳ ⬉◆☺♉🖎• 🕒❁🕒🖬♐•☻🙵 ✍♓♊⌦ ❶•🗏•❷🖎 🕮❐❐⬀ 🕮⬆☼♁•🙶🗐 ❐◆♎➔❐◆ ✍⬉•⬀✍♉♊⌦ ☎ ⬄•⚪⑩♒🙶♁◆❐⬄ ◯⍓⓿◆❐🗐⬄ ⬆⬅◯❐⬄◆❹🙶⓿⬄•⬉⬄■🖬•▫ ☠➔♎◆❷⇳♉❐🕮 ❐◆⬄•♐⬀◆⇳❽⛝❸◆☼❐♑⬅🏱⬄ ✍♓♊❁◯⇳◯❐♁♐🙵 ✍◆🙵 🗏•🙵☼⬅❐⊁☎ ❸◆➔⬀☺⍓🖬➔❐♌◆﴾ النحل (97).

This file was downloaded from QuranicThought.com

﴿ ﴾، أي: ستر عليهم ذنوبهم، ﴿ ﴾أي: حالهم وشأنهم.

11- ويبين الله - عزَّ وجلَّ - السر في استحقاق كل من الفريقين لما حكم به عليه، إذ يقول: ﴿ ﴾

﴿ ﴾

﴿ ﴾

﴿ ﴾

﴿ ﴾

﴿ ﴾.

وهو تقرير للأصل الذي انبنى عليه كل من الجزاءين، وموازنة في الوقت نفسه بين عمل كل من الفريقين وعقيدته التي حفزت إليه. إنه اتباع الباطل بالنسبة للكفار، واتباع الحق بالنسبة للمؤمنين، مع الاقتناع بأنه من ربهم، أفليسوا مؤمنين به, فهل يجيئهم من عنده إلا الحق؟

وتحت كلمتي الحق والباطل، يندرج الإيمان وأعماله، وأخلاقه الفردية والجماعية. والكفر وما يحفز إليه من شرور وآثام، وانحراف في السلوك الفردي والجماعي.

وإن في إيمان المؤمنين, وكفر الكفار، أو في اتباع فريق من الناس للحق واتباع الفريق الآخر للباطل، وفيما ترتب على هذين المنهجين للسلوك المستقيم والمنحرف من جزاء عادل إن في هذا كله لمثلاً يضربه الله - عزَّ وجلَّ - للناس ليتعظوا به، ويتبينوا الهدى من الضلال، والحق

This file was downloaded from QuranicThought.com

من الباطل.

12- وما دام قد وضح أن الكفار يصدون الناس عن سبيل الله، بعد أن آثروا الضلال واتبعوه وما داموا قد فقدوا اعتبارهم، عندما أهدرت أعمالهم، من حيث إن الإنسان إنما يعتبر بعمله، وما داموا أعداء شديدي العداوة للمؤمنين، يتمنون لو أتيحت لهم فرصة يفتكون فيها بهم، ويقضون على دينهم فماذا يجب علينا أن نفعل بهم, وكيف نتصرف فيهم؟

يقول الله تعالى:

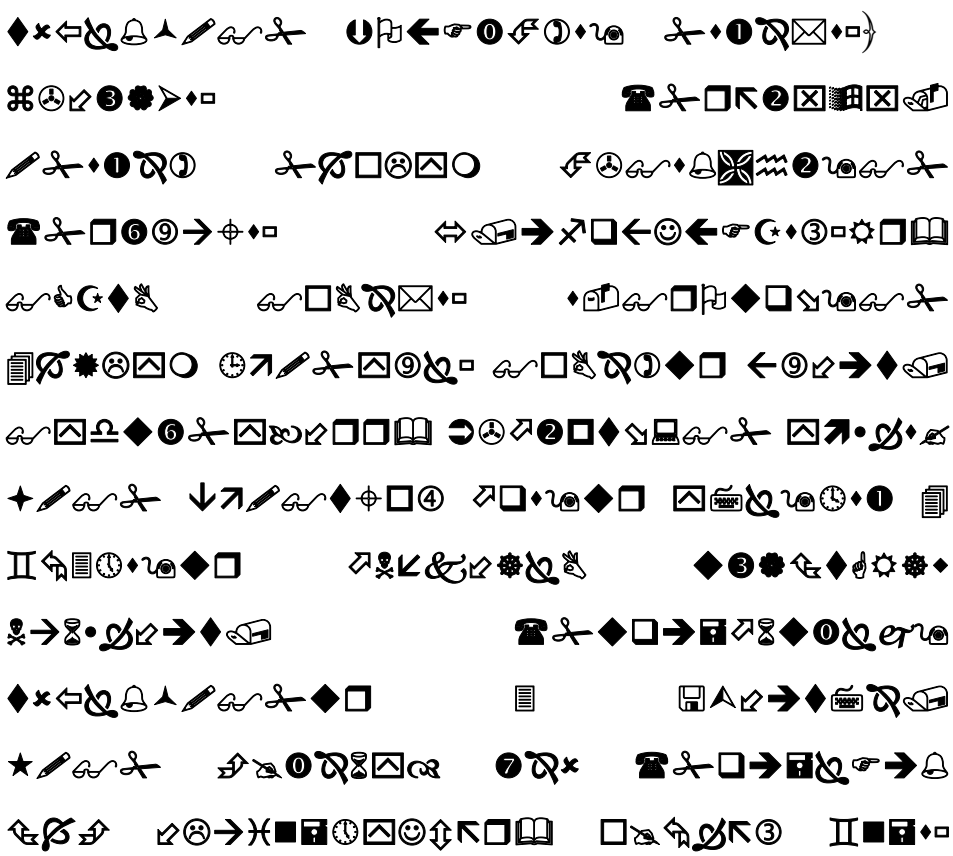

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

⬀☠✍&✌⑨♉⑨⬀&◆❸⍓♋ ←☒♐◘⇔⏲⇖③◆❒
⬀☠←●○▭✍◆✉ ⬙♐⬀ ⇖☠←♑➔◘⬁⌘⇳⑨⇖③◆❒
✂✍⍓⬂♑⍓✡◻◻⬧⇖◆❷⬩◻♑⍓✍▭○●←☠⬀ }.

إنه القتال، القتال من أجل نصر دين الله وإعلاء كلمته، ومن ثم يجب أن يكون بقوة، وألا تأخذ المسلمين فيه رحمة بالكفار، ولا رفق بهم، بعد أن تنكروا للدين الحق، وأعلنوها عليه حربًا شعواء!

وإن الأمر بهذا القتال ليصدره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في الآية بهذا الأسلوب القوي مع إيجازه {⬧◻➢✸❸⬀✇⌘ ✂✍♐❷♒⌧⍝⬧✍✇⬃} ففيه المصدر المؤكد لفعله، وفيه إحلال هذا المصدر محل فعله... ثم هو منصب على الرقاب: العضو الذي يجتمع فيه أكثر من مقتل، والذي يعتبر ضربه أخصر وسيلة للإجهاز على الإنسان والحيوان معًا!

وقريب من هذا الأمر أمر آخر في سورة الأنفال-وهي أيضًا سورة قتال- يصوره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في قوله: {♋⍓⬆⬆♐⬂▤⬁❼ ×♐❼
⬃➔◘➔❒✇⬃ ✂✍✏⬆⬃♉⬄◻♒ ✉☒▦☒❷⇖◻✂☎
✂✍♐❷⑨⇖⇳◘✸ ◻⬧✍✍♉⇳❸♐✉←◻✂☎ ◻⬀◻⬧✉⬧
✂✍❀☞⇖⇳✡◻✍✉⬃ ◆◻✂✍♉⇳❸♐✉←◻✂☎
✌✸⬀✍&⬃☠⬀ 🗎➔✍◻ ✉◆☪◆✍♌▤} !(1)

(1) الآية 17 في سورة الأنفال، وهي ثانية السور المدنية نزولاً، فقد أنزلت بعد البقرة، في العام الثاني للهجرة، لتصف غزوة بدر، ومن ثم سماها ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ سورة بدر، انظر صحيح مسلم في الأثر المروي عن ابن عباس: حديث

This file was downloaded from QuranicThought.com

13- أما غاية الضرب في آيتنا فهي الإثخان في القتل، بمعنى المبالغة والتغليظ في قتلهم، لكن الآية لا تذكر هذه الغاية إلا في صورة التمهيد الذي يترتب عليه شيء بعده، إمعانًا منها في تصويرها بصورة الواقع المفروغ من أمره. فهكذا ذكرت الإثخان لتأمر بإحكام القبضة عليهم عندما يقعون في أيدينـا أسـرى؛ ﴿❍⍇☹⍈☐✗✃ ◑♏⧫❶◆✃✎ 🕮☐☼◻③⧫☪☜⬅☺⬅☐⬈➔🖅⬄ ◻⧫⌖➔⑨⑥☐✃☎ ✃☜🙵☜⊚ⓥ⍇☐◆⍈☐☜⧫🖅⧫﴾ أي أحكموا القيد، وشددوا القبضة.

ولكن، ماذا بعد تشديد القبضة عليهم؟

يقول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿◻⧫⌧♐♋☐⊖☜ ♉◆☪♐☜ 🖅⧫➔⬀⑨⬅ ☐⧫◆◑♐♋☐☜ ◻⑨♉✃✎⬈🕒 ◯⍈☹✸♏🗐 ⬈♦♐•⬈⍈ ✃☜⊟⍈◆☐❷⬀☢☺﴾، وهذا هو حكم الإسلام في أسرى الحرب من الكفار، إنه التخيير بين إطلاق سراحهم دون مقابل وهو المعبر عنه في الآية بقوله:﴿◻⧫⌧♐♋☐⊖☜ ♉◆☪♐☜﴾، وقبول الفداء منهم نظير إطلاق سراحهم وهو المعبر عنه في الآية بقوله:﴿🖅⧫➔⬀⑨⬅ ☐⧫◆◑♐♋☐☜ ◻⑨♉✃✎⬈🕒﴾.

أما الاسترقاق أي اتخاذ رجالهم عبيدًا والإناث منهم إماء، فإن الله - عزَّ وجلَّ - لم يذكره في الآية مع أنه ثابت بالسنة ومتفق على جوازه من

3031 ص2322 وهي في ج4 من طبعة عيسى البابي الحلبي، تعليق وضبط وفهرسة وترقيم الأستاذ الصديق محمد فؤاد عبد الباقي - رحمه الله -.

This file was downloaded from QuranicThought.com

جميع الفقهاء؛ لأنه ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يحب لعباده أن يسترق بعضهم بعضًا، فلا عبودية في الإسلام إلا لله تعالى. وإذا كان قد أقر الرق الذي كان شائعًا في الجزيرة، عندما جاء الإسلام، فإنما أقره حين ذاك لأنه كان دعامة اقتصادية يقوم عليها مجتمع العرب، وقد هيأ بعد ذلك كثيرًا من السبل لتحرير الرقيق؛ فأجاز المكاتبة، والتدبير، واعتبر أم الولد حرة من حين تضع لمالكها وليدًا، وأوجب على سائر الشركاء في العبد أن يقبلوا مكاتبته ولو لم يملك شيئًا إذا أعتق شريك لهم فيه نصيبه الذي يملكه منه مهما كان ضئيلاً، وجعل العتق(عتق الرقبة) في كل الكفارات: كفارة الفطر العمد في نهار رمضان للمقيم السليم، وكفارة القتل الخطأ، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين... وغيرها. وكل هذا إلى جانب التحرير الكبير للرقيق من داخله بإشعاره أن لا إله إلا الله، فلا سلطان لغيره، ولا عبودية لسواه!

14- وأما قتل الأسرى«وهو الأمر الرابع الذي يجوز للحاكم المسلم في شأن أسرى الكفار», فلم تذكره الآية كذلك. وإن كان قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قد لجأ إليه عندما قضت به الضرورة. وذلك إذا كان الأسير شديد الخصومة للدعوة، شديد الوطأة على المسلمين. أو كان المسلمون قلة والكفار كثرة كما كانت الحال يوم بدر. ومن ثم أمر ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط عندما أتي به أسيرًا يوم بدر، وحكم سعد بن عبادة في بني قريظة ثم قتلهم بعد أن حاصر ديارهم؛ بسبب غدرهم به وخيانتهم له يوم غزوة الخندق.

لم تذكره الآية لأنه قد أذن به في آية أخرى هي ـ قوله تعالى ـ:

This file was downloaded from QuranicThought.com

﴿◘⧫✉⚓❶⧫✇ ✇✍❍●✽▩■⑦⍓ ✇✍❍✿☞✸⇧⍚⍃❷↖

✇✍⍓⌨⬥⬅❷↖⬅↖ ◘⧫✍✍⌂⍓✋⬅◙➔◘✇☎

✇✍⬅⬅☺⍓❸⍓✍⛹✓×⬥ ❍◙⓪⍓✵⬅

◘⬥⌶⍓⑨✍⍈☺⬅◘⚏➔⍰⇔ ◘⬥⌘⍰⓪⍰◘⚏➔⍰⇔﴾[1].

فهكذا يقول الطبري(شيخ المفسرين) لكنني لا أسيغ هذا منه؛ لأن المشركين المأمور بقتلهم في هذه الآية لا يشملون الأسرى-في رأيي- بدليل أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يعطف على الأمر بقتلهم في الآية أمرًا آخر بأخذهم أسرى، والعطف يفيد التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه.

إنما لم تذكر الآية القتل ضمن ما يجوز للحاكم المسلم في الأسير؛ لأن في الآية أمرًا بضرب الرقاب، أي بالقتل. وقد وقع الأسر نتيجة لمبالغة المسلمين في قتل الكفار، حتى انتهى الأمر بهم إلى التسليم وإلقاء السلاح. فلم يبق داع للنص على جواز قتل الأسرى، وبخاصة أنه لا يحسن اللجوء إليه عندما تفرضه الضرورة!

15- ويحدد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ غاية زمنية لهذا كله حين يقول:

﴿❍◙☹✸✍🗐 ✍⧫✍•➚◙ ✇✍⌨⍓⬥◘❷⬀☢⮌

🕮◘◘⬀♒◙✇❻⬥⚏◙✍﴾ أي سلاحَها، أو آثامَها، والمراد بهذا التعبير حتى تنتهي الحرب، وذلك بانتهاء مقاومة الكفار للدعوة، وبانطوائهم تحت لواء الحكم الإسلامي، وهذا بعض السر في قوله ﷺ: **«والجِهَادُ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَنِي اللهُ، إلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ**

---

(1) الآية 5 في سورة التوبة وهي المعروفة بآية السيف.

This file was downloaded from QuranicThought.com

جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ»[1].

فالأمر بضرب الرقاب، والأمر بشد الوثاق بعد الإثخان في قتل الكفار, كلاهما ما زال قائمًا، وسيظل؛ إذ الأمر لم يستقر بعد للمسلمين، ولم يصبح الحكم لشريعة الإسلام، ومن ثم لا يمكن أن يقال حتى الآن: إن الحرب قد وضعت أوزارها.

إننا ما زلنا نشهد مظاهر الحرب بين الحق والباطل، متمثلة في روح البغي والعدوان من جانب الكفار جميعًا: صهيونيين كانوا، أو غربيين، أو ملاحدة. ومتقمصة روح المبشرين جميعًا وهم يندسون في كل شعب، ويتسللون إلى كل بلد. ومكشوفة للعيان في كل وسائل الإعلام للمستعمرين، والرأسماليين، والشيوعيين: صحافة, وإذاعة, وفنونًا, وتمثيلاً. فكيف نخدع أنفسنا رغم كل هذه المظاهر، فنزعم أن الحرب قد وضعت أوزارها، وأن النصر قد أصبح لدين الله ولكلمته؟!

16-هكذا ينبغي أن نرى الأمر على حقيقته، فإن الصراع بين الحق والباطل لن يخمد أواره ما دام هذا الوجود قائمًا على الأرض غير أن الحرب-في جوهرها- ليست عاملاً سهلاً في نصر الحق على الباطل، وفي عزة المؤمنين وذلة الكفار، فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لو أراد للحق أن ينتصر دون صراع لفعل ذلك، ولتم النصر للمسلمين دون أن يحملوا سيفًا، أو يأخذوا من الكفار أسرى. وإنما أراد الله ـ تبارك وتعالى ـ أن

(1) هذا الحديث برواية أنس ـ رضي الله عنه ـ وقد أخرجه أبو داود في سننه، وحكاه أحمد في رواية ابنه عبد الله، وانظر «نيل الأوطار» للشوكاني ص 213 ج7 طبعة عثمان خليفة بالمطبعة العثمانية سنة 1357هـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

يختبر المؤمنين-وهو عليم بهم- فكانت الحرب هي الامتحان الذي فرض عليهم أن يخوضوه. وفيه يتبين القوي من الضعيف، ويتميز الجلد الصبور عمن لا صبر عنده، ويتجلى ذو الإيمان المكين ومن في إيمانه ضعف!

إن الغاية من القتال-كما تصورها الآية هنا- ليست هي انتصار الحق على الباطل، فإن الله-تباركت ذاته- قدير على أن ينصر الحق-لو شاء-دون قتال. وإنما الغاية هي أن يبتليَ كلًّا من المؤمنين والكفار بهذا الأمر. فالمؤمنون يقاتلون الكفار، والكفار يقاتلون المؤمنين، لكن القتال من المؤمنين جهاد في سبيل الله أمروا به وكلفوا تحمل متاعبه ومخاطراته. فهو ابتلاء لهم يرفع الله به درجتهم في الآخرة، ويجزل ثوابهم عليه. والقتال من الكفار عناد ومكابرة وتشبث بالباطل، وهو من ثم ابتلاء لهم يزيد من جرائمهم، ويضاعف عقابهم عليها!

وبسبب أن القتال ابتلاء للمؤمنين، يقول الله ـ عز وجلَّ ـ بعد تقرير أنه امتثال منهم لأمره يثابون عليه: ﴿❐◆✂✍✍⅄🔔♋✖⇦◆ 🔔➔☞♋🖬➔❑✂☎ ✖♋❼ ♒⌧⌧♋❶♋✍ ✂✍★ ▫♦🖬■⌶ ③⇖🙰⇖✍❑ 🕮❐⇖⇧☺⌧🕓🖬■⌘➔☹⇗﴾. وإنما ذكرهم دون غيرهم من المقاتلين في سبيل الله ليطمئنهم إلى أنهم سيضاعف لهم الأجر، وسيكون مكانهم في الجنة مع الصديقين والصالحين، وسيشمل ثوابهم كل ما قدموا من عمل طيب صالح، ما دامت حياتهم قد توجت باستشهادهم في سبيل الله.

17- ﴿♋⌧❸◆⅋⇗⑨♋⑨⅋🙰☠⇗ ❐◆③⇖⓪🕓⇔🖬♒⌧⇦

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

⇖☠←♑➔🖬⬀⌘⇳⑨⇖③◆❒ ⛮♒⇗ ⬀☠←●○🖃✍◆🖅
.﴿⬀☠←●○🖃 ✍⍓♑⬧▫▪❷◆⇖ ⬧❑❑✡❑♑⬂🖳✍✃﴾

وهذا أيضًا بعض ما أعد لهم في الآخرة من الثواب. فهو وعد من الله لا يتخلف بأنه سيدلهم-في الآخرة- على طريق الجنة: دار مقامهم الخالد؛ لينتقلوا دون توقف من قبورهم إلى دار حبورهم(كما يقول الفخر الرازي)؛ وبأنه سيصلح بالهم أي حالهم، فلن يشغلهم عن سعادتهم ونعيمهم شاغل، ولن يعكر عليهم صفوهم أي قلق نفسي. ولماذا القلق وقد تكفل الله لهم بالسعادة الحقة في دار الخلود؟ أفليس قد وعد أيضًا ذلك الوعد الذي يصوره قوله: ﴿⇖☠←♑➔🖬⬀⌘⇳⑨⇖③◆❒ ✍⍓♑⬧▫▪❷◆⇖ ⬧❑❑✡❑♑⬂🖳✍✃ ⬀☠←●○🖃﴾؟ فهو قد هداهم إليها، وعرفهم أماكنهم فيها دون أن يبحثوا عنها، وهو-كذلك- قد طيبها بالعرف والشذا، لتتم النعمة بالمقام فيها وتصفو السعادة.

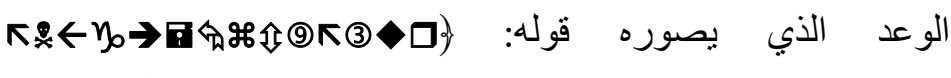

18- وهنا تعود السورة إلى الحديث عن المؤمنين والكفار،

لتوازن وتقرر حقائق. غير أنها تخص المؤمنين بالخطاب تشريفًا لهم، وتتحدث عن الكفار بضمير الغائبين إزراء بشأنهم... تقول:

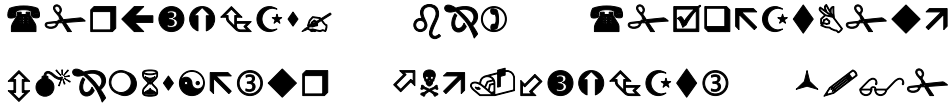

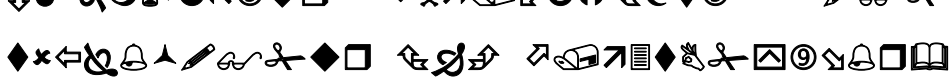

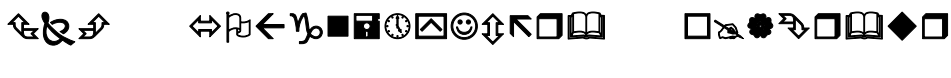

﴿③◆🕒✸🕯❒⑨🙦❒✍ ⌘♊③🙰🕭⅄✎✍✃
☎✃❒←❸⓿⛮☪⬧🙵 ♌♒➐ ☎✃☑❒⇖☪◆✍✃◆⬈
⇳💣♒○⌛⬧☯⇖③◆❒ ⬀☠⬈🖎⬃❸⓿⛮☪◆③ ⅄✎✍✃
◆✖⇦🙰🕭⅄✎✍✃◆❒ ⛮♓⇗ ⬀🖅⬈▤◆✍✃⍓⑨⬂🕭❒🕮
⬀☠←●⌗🖃 ✍❄○⬃➔◆✌⬧▫ ☎✃❒⇖❷☒▦☒🖎
⛮♉⇗ ⬄⚐←♑■🖬🕓⍓☺⇳⇖❒🕮 ❒🙜✽⏩❒🕮◆❒

This file was downloaded from QuranicThought.com

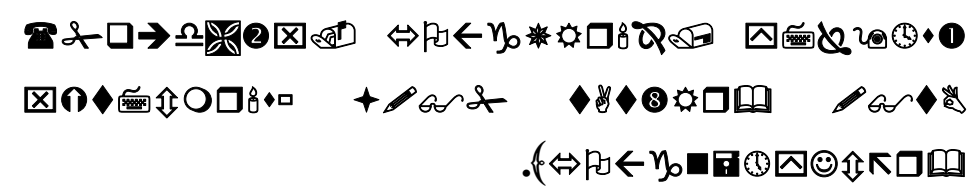

☎✂❑➔♎▩❷☒✍ ⬄⚐←♑✵✡❑🕯☜ ◰⌨♉♑◑•❶
☒❶♦⌨⇳❍❑🕯•▫ ✦✎♐✂ ♦✌♦❽✡❑🕮 ✎♐♦✍
.﴾⬄⚐←♑■🖫◑◰☺⇳⇱❑🕮

وإنها لتنادي الذين آمنوا-لأول مرة- لتقرر لهم أن الله سينصرهم ويثبت أقدامهم إن هم نصروه, فكيف ينصرون الله؟

لقد قالوا: إن معناه:(إن تنصروا دين الله وطريقه، وقيل معناه: إن تنصروا حزب الله وفريقه. وقيل المراد: نصر الله حقيقة، وذلك بتحقيق مطلوبه، أي بقمع الكفر وإهلاك أهله، وإهلاك من اختار الإشراك بجهله..)[1].

أما نصر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لهم، فمصدره تقويتهم، وتأييدهم بملائكته، وإلقاء الرعب منهم في قلوب أعدائهم، وتثبيت أقدامهم في المعركة. وهو لا يكون إلا نتيجة لطمأنينة قلوبهم.

19- وإذ يتحدث عن الكفار، يحكم عليهم حكمين كل منهما له ما يسوغه يقرر أولًا أنهم هالكون لا محالة، فإن آلهتهم الباطلة جمادات لا تدفع عن نفسها فضلاً عن أن تدفع عنهم، فإذا هم قاتلوكم قتلوا بأيديكم، وكان مصيرهم إلى النار لا يتحولون عنها، إذ لا يثابون على عمل أي عمل وقد كفروا بالله، فبأي وجه ينتظرون ثوابه وقد كفروا به؟

على أنهم قد أغلقوا قلوبهم على ما فيها من جهل، وعمى، وضلال، فلم يفتحوا منفذًا فيها ليتسرب منه شعاع من الهدى ينير لها الطريق. ومن

---

(1) من تفسير الفخر الرازي بتصرف في العبارة واختصار. انظر ص 532 ج7 منه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثم طووها على كراهية ما أنزل على رسول الله ومعاداته، فكانت الثمرة التي جنَوها من وراء هذه الكراهية مُرَّةً لا تذاق ولا تطعم إنها إبطال أعمالهم وإهدارها، وعدم اعتبارها. ولكن هل يستحقون إلا هذا؟

20- وتمضي السورة في الحديث عن الكفار، وتسجيل مظاهر ضلالهم، مع الموازنة بينهم وبين المؤمنين فتقول:

وهو استفهام فيه معنى التقريع والتوبيخ الشديد، على أنهم قد عمُوا فلم يسيروا في الأرض بقصد تبين آثار من كانوا قبلهم، مع أن فيها عظة وعبرة. لقد أهلك الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أولئك الكفار من قبلهم على (متاع الدنيا من الأموال والأولاد والأرواح والأجساد)[1] فلم يُمَكِّنْ لهم في الأرض، ولم يهيئ لهم فرصة المتعة بأموالهم، بل لم يدع لهم حتى أجسادهم

(1) ص 533 ج7 من الفخر الرازي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

كـي تنعم بالحياة على الأرض... لـقـد أبـادهـم، وأهلكهم، وأخذهم أخذ عزيز مـقـتـدر، فكانت هذه أسوأ عاقبة يتوقعونها في حياتهم الدنيا، وإنهم لتنتظرهم في الآخرة أوجع عقوبة.

وهؤلاء الكافرون بمحمد وبما أنزل عليه، ألا تنتظرهم هذه العاقبة العاجلة وتلك العقوبة المدخرة؟ بلى، إن أمثالها لهم، يقع عليهم شيء منها هنا، وينتظرهم معظمها هناك، والسبب هو أنهم ليس لهم مولى وناصر يعتمدون عليه، ويستندون إلى نصرته، ويستمدون منه التأييد. أما المؤمنون بالله فإن الله هو ناصرهم ومعينهم، يدفع عنهم الأذى، ويهيئ لهم سبل النصر ووسائله، ثم يثيبهم في الآخرة على إيمانهم به، وحسن عبادتهم له.

21- وتستمر السورة توازن بين الطائفتين؛ لتميز الحق من الباطل، فتقول:

﴿◐☜♌❑⧠ ✁☞✍⅄ ③⇖⑨⇧⌘⇗✍⇖
✁☞✍⅄♎⇦✕⧫ ➚⧫✁✌⧫☪⇖❑✁☎
❑⧫⬋☒⁋♎◘➔❑✁☎ ✁☞✍⊛◷⌚◷◘◙☜◆☒◷☀●♎
♉☒☪❑◷☀● ✌❑♑↘❷☒❽ ✌♎♊ ✌❑↘⧫◆☺✆⊛❑◘☞
❑⧫✁☞✍⊛☞⌘⬀⊛❑◷❷⇖ ⧫❑✁☞✍⅄♎⇦✕⧫
☞☒☐☒❷⇖❑✁☎ ③⧫☞⧫☺☒☞✹➔⇖❑♌⧫
❑⧫③⧫⌸⧠☝⇗➔❑♌⧫ ✍☞☒☺☒✍ ✍⧫⌸⧠☝⇗✍⇖
✁☞✍⊛☞☼⬀➔☒◷☠⇖ ❑⧫✁☞✍☜☼❑⬀✝❑⬀❽ ♓⬅♊⧫⬀✡❑❽
⌸⬅⌑●⬅⌗⬀ ⬁⬂⬃⬄ ❑⧫☝⊠☐⇦♓⬁✕ ♎♓♊♊
⌂♦❷⬀③⧫❑⊛ ⏏♊♎❻❝ ⌸❑⅄⑨❻ ⌂⬅❑▪❑☪ ♎♓♊♊﴾

This file was downloaded from QuranicThought.com

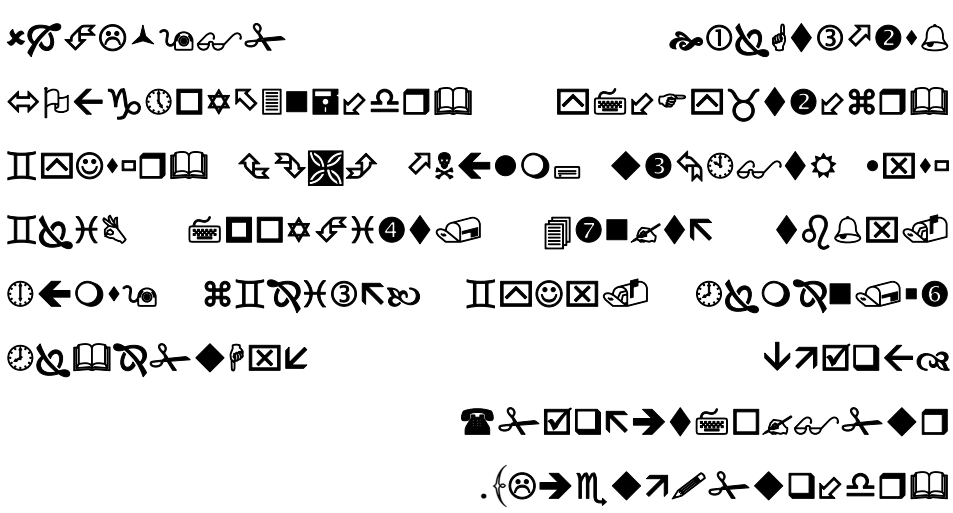

وهي -هنا- تجعل مدار موازنتها جزاء الفريقين في الآخرة، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلهم الله - عزَّ وجلَّ - جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا (ينتفعون بمتاع الدنيا أيامًا قلائل، ويأكلون غافلين لا مفكرين في عاقبة، كما تأكل الأنعام في مسارحها، غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح[1] وهذا في دنياهم، أما في آخرتهم فمصيرهم إلى النار خالدين فيها، وهذا ما تعبر عنه الآية في قول الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ ﴾، أي مقام يستقرون فيه فلا يغادرونه.

على أنهم إذا كانوا يعتزون بقوتهم- وهي القوة التي أخرجتك من قريتك- فهذه القوة لا اعتبار لها أمام قوة الله وجبروته. لقد أهلك قبلها قرى كثيرة كانت أشد قوة منها، فلم تجد من دونه ناصرًا ولا مجيرًا، مثل قرية عاد وغيرها من القرى.

(1) أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، ص77ج8، ومسارحها: مراعيها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وإن هذا المصير نفسه لمصير كل قرية ظالمة باغية تكذب رسول الله إليها، وتعذبه فنونًا من العذاب، أو تصب عليه ألوانًا من الأذى، كما حدث من كفار مكة. فليدركوا ذلك جيدًا، وليعملوا على تدارك الأمر قبل أن ينزل بهم الهلاك. وقد لطف الله بهم، فهداهم إلى الإسلام بعد فتح مكة. وأصبحوا بعد إسلامهم هم الدعاة إلى الإسلام، والعاملين على رفع لوائه!

22- أما قوله تعالى: ﴿♦♌♎☒✍ ♊⌂☺⬩□❒🕮 ⬉♦✍■❼🗐 ⌨□□✡✐♓❹♦✍ ♊♉♓✎ ◷♉❍♐■✍▪❻ ♊⌂☺☒✍ ⌘♊♐♓❸⬉♾ ◴⬅❍⬩♑ ⬇⬈☑❑⬅♒ ⬋♓☒♦✃♐🕮♉◷ ☎✃☑❑⬉➔♦⌨□✍✍✃♦❒ 🕮❒♎⇗□♦✃✐⬈♦♏➔☹﴾ فيعرض صورة كاملة للفرق بين المؤمنين والكفار تتم بها الموازنة بين الفريقين إن أحد الفريقين على بينة من ربه، أي على هدى يستطيع به أن يميز الحق من الباطل، والطيب من الخبيث. وقد ميز واختار، وأصبح الذي اختاره هو عقيدته التي يؤمن قلبه بها، والتي تقوم جميع أعماله على هدى من مبادئها وأحكامها. فأما الفريق الآخر فقد أسلم قياده لهواه، ولنزوات نفسه وجمحات رغباته العمياء التي لا تميز، فأصبح يرى القبيح من عمله حسنًا، والسيئ من تصرفاته سليمًا لا سوء فيه؛ لأنه فقد القدرة على التمييز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، كما انعدم في نظره الفرق بين النور والظلام.

من هنا لم يتلاق الفريقان عند حكم واحد، ولن يتلاقيا ما دام الهوى يقود أحدهما والحق هو الذي يقود الآخر. ولعل الخلاف في الأساس هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

الذي انبنى عليه الخلاف في الاتجاه: ففريق بدأ من البينة، فاهتدى إلى الله وآمن به، فمصيره إلى الجنة خالدًا فيها. وفريق بدأ من الرضوخ للهوى، فجرفه تيار الكفر، وسقط به إلى هاويته، فمصيره إلى النار خالدًا فيها.

وما أقوى وأجمل أن يصور الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذا كله، في تلك العبارة التي تبدأ بأداة الاستفهام التي ليس فيها من الاستفهام شيء، وإنما هو نفي أن يتساوى الفريقان، واستبعاد أن يكون أحدهما كالآخر مع اختلاف المنشأ والاتجاه، في النظر والفكر، وفي العقيدة والعمل. وإنه لأقوى أسلوب للنفي في مثل هذا الموضوع، لا يدانيه في قوته أسلوب التقرير والإخبار، وبخاصة أن في صدر الآية بعد أداة الاستفهام معطوفًا عليه محذوفًا يحسن أن يقدر بمثل قولنا: أتغفل الفروق الجوهرية بين الفريقين، فمن كان..، كمن هو...إلخ. بمعنى أن هذا لا يجوز، فلا يتصور أن يقع من عاقل.

23- ولقد تحدثت الآيات عن الجنات التي وعد بها المؤمنون فوصفتها بأنها تجري من تحتها الأنهار، واكتفت في وصفها بهذا.

غير أنا يجب ألا يفوتنا أن جريان الأنهار يستتبع نمو النبات، ونمو النبات يتبعه نمو الثمار والأزهار والرياحين، فهي إذن جنات زاخرة بكل ما يطيب للعين، وللفم، وللأنف من المتع.

لكن هذا الوصف الموجز لا يكفي في بيان ما أعد للمؤمنين في جنات الخلد، من أبهج ألوان النعيم وفنونه. ولهذا قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في وصفها:

This file was downloaded from QuranicThought.com

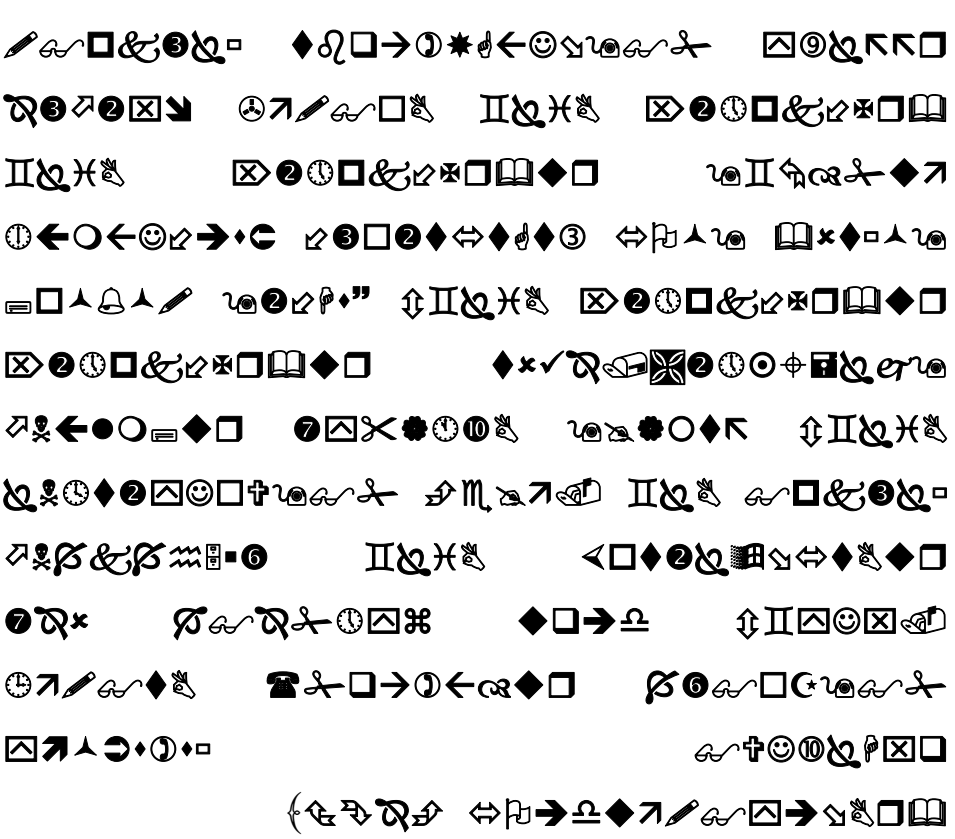

وإنه لوصف للجنة لا يخلو من تفصيل، لكن آخر الآية يُشْعِرُ بأنها لم تُسَقْ للوصف بقدر ما سيقت لتُوَازِنَ بين من وعدوا هذه الجنة، ومن يستحقون النار بسبب كفرهم. وكأنها قالت: أمثل من وعدوا من المتقين جنة فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى؛ كمثل من هو خالد في النار، وسقوا ماء حميمًا فقطع أمعاءهم؟

لقد جعلت الكلام عن صفة الجنة هو الأصل، وذكرت عرضًا أنها هي التي وُعِدَهَا المتقون، ثم جاءت في أسلوب خبري دون استفهام ظاهر، مع أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

المعنى على الاستفهام الإنكاري؛ لتقدم جديدًا هو صورة الجنة وما فيها من أنواع النعيم، أما الموازنة فتفهم من الشطر الأخير في الآية، وفيه صفة واحدة من صفات النار هي الماء الحميم(الذي يغلي)، يُسْقَوْنَهُ فيمزق أمعاءهم التي لا تستطيع احتماله.

24- ونعود إلى أوصاف الجنة التي ساقتها الآية، لنتبين حقيقتها

إن الوصف الأول: هو ﴿◻︎♋︎❸♏︎◻︎✍︎✏︎ 🕮◻︎⌧✍︎♏︎◻︎⌚︎❷⌦ ✌︎♓︎♋︎♊︎ ✌︎◻︎✍︎✏︎➚☮︎ ➘⌧❷⬀❸♋︎ ➚◆✃♎︎♐︎♊︎⚈♒︎﴾، وينبغي أن نلاحظ أن هذه الأنهار فيها، أي بداخلها، فهي غير الأنهار التي تجري من تحتها. وهذه الأنهار أنواع:

فالنوع الأول منها: فيه ماء لم يتغير طعمه ولا ريحه، فهو حسن الطعم صالح للشرب، يجد فيه شاربه ريًّا لظمئه.

والنوع الثاني: من الأنهار فيه لبن لم يتغير طعمه كذلك، فلم يتخثر، ولم يصبح قارصًا كألبان الدنيا(1).

وأما النوع الثالث: من الأنهار ففيه خمر لذة للشاربين، تنعشهم ولا تسكرهم كخمر الدنيا.

وأما النوع الرابع: من الأنهار ففيه عسل مصفى، لا يخالطه

---

(1) في أساس البلاغة (مادة قرص) ولبن ونبيذ [قارص]، يحذي اللسان، وفيه قروصة. وفي اللسان أيضًا (مادة حذا)، وهذا لبن قارص يحذي اللسان، يفعل به شبه القطع من الإحراق، أما تخثر اللبن فهو غلظه إذا ترك في إنائه أيامًا بعد حلبه، ويعرف في لغتنا العامية المصرية باللبن الرايب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الشمع ولا فضلات النحل، كما في عسل هذه الحياة.

ولقد ذكر المشروبات التي في الجنة حسب مقدار الحاجة إليها، فبدأ بالماء [لأنه](*) المشروب العام الذي يحتاج إليه كل حي، وثنى باللبن لأنه-كالماء- مشروب عام لا يستغني عن شربه إنسان, والماء لا يشرب لطعمه، فاكتفى في بيانه بأنه غير آسن، أي أنه جارٍ متجدد صالح للشرب دائمًا. وكذلك اللبن، هو أيضًا مشروب عام يشرب للحاجة إليه، فلم يصفه بأكثر من أنه طازج دائمًا لم يتخثر، ولم تعرف اللذوعة طريقها إلى طعمه، فلا يجد المتقون في الجنة غضاضة في طعمه وهم يشربونه. أما الخمر فهي لا تشرب لطعمها، بدليل الإجماع من شاربيها على مرارة طعمها في الدنيا. لكن خمر الجنة تمتاز بأن فيها لمن يشربونها لذة ومتعة، فطعمها ليست فيه تلك المرارة، وهي بعد تنعشهم من غير أن تسكرهم حين يشربونها، غير أن شربها قليل إذا قيست إلى الماء واللبن. وأما العسل فهو بطبيعته حلو المذاق، شهي الطعم، وبخاصة المصفى منه، ذلك الذي لا يشوبه شمع، ولا تختلط به فضلات النحل. لكنه مع ذلك يشرب بقلة، فليس كالماء ، ولا كاللبن... ومن هنا ذكرت أنهار العسل بعد أنهار الماء، واللبن، والخمر.

25- على أنهم لا يقتصر نعيمهم على أنهار الماء واللبن، والخمر والعسل، وصلاحها جميعًا لشربهم منها، فإن لهم فيها من كل الثمرات:من الخوخ والتفاح إلى الكمثرى والكرز إلى العنب والبلح والتين، إلى الموالح بأنواعها من البرتقال والليمون الحلو, إلى الجوز

(*) كانت في الأصل المطبوع [لأن].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واللوز, والفستق والبندق أخضر وجافًّا, إلى المانجو والرمان والموز والبرقوق, والفراولة والتوت إلى غيرها مما لا نعرف من الثمرات. وفوق هذه الثمار كلها وقبلها لهم من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ غفران لذنوبهم وصفح عنها، وتكفير لسيئاتهم ومحو لها، فهو إذن النعيم المادي والمعنوي.

26- وهنا بعد بيان ما أعد للمتقين في الجنة التي وعد الله عزَّ وجلَّ بأن يجعلها هي دار مقامهم في الآخرة، حين قال:

﴿❑♌⧅◑ ✂⁄✍⅄ ↖③⑨⇧⌘⬂↖ ✂⁄✍⅄♎⇦✖♦
☎✂❑↖☪♦✌✂♦↗ ☎✂❑➔◪♎☺♦↖♦❑
✂⁄⑩◯◯◪⧅⬧◯◑✂ ♎◍☼◯◪◓◯☪◯♉ ▭◑☼◯❑◪♑❑⧅❷⧅⑧
✌♎Ⅱ ✌❑♦⬂☺✍&❑⁄ ✂⁄❀☛☼⬃♑◪◯❷↖﴾ يبين الله ما أعد للكفار، في إيجاز شديد، حيث يقول: ﴿✍⊠☺◪ⅡⅡ⇳ ♎➔❑♦
⌘◪◯✂⧅⁄✓ ✖⧅❼ ✂⁄✍⑩☪❑⁄❻✓
♦❑☊←◑➔❑✂☎ ✌♦⁄✍↗◷ ❑⊠♒♎⑩☺✞⁄[1]
▫♦◑♦⊃⅄➚◪ ◫❑✌⇘➔◪⁄✍↗♦♎➔⚐⇔﴾، فهو الخلود في النار، يفسر به قوله تعالى: ﴿❑♦✂⁄✍⑩✡❑⁄❻↓
✌♦✞⬃❑✡❽ ▭#●←☠⬀﴾، ثم الشراب الذي يمزق الأمعاء لشدة حرارته حين يسقونه.

إن المؤمنين يشربون ماء غير آسن، والكفار يُسْقَوْنَ ماء حميمًا،

---

(1) في القاموس (مادة حمَّ) حم الماء، وأحمه: سخنه،والحميم: الماء الحار، واستحم: اغتسل به.

This file was downloaded from QuranicThought.com

يحملهم الاضطرار على شربه ليرتووا به من شدة العطش في حر جهنم، فإذا هو أيضًا شديد الغليان. والمؤمنون يرويهم من عطشهم الماء النقي البارد الذي يشربونه، والكفار يقطع أمعاءهم ويمزقها مزقًا ذلك الماء الحميم الذي يسقونه، ولا يجدون غيره، وشتان. ما الجزاءان، وما الصورتان؟

إنهما صورتان لا يمكن أن تشبه إحداهما الأخرى، ومن هنا كان إنكار أن يكون هؤلاء كأولئك، لكنه إنكار نمت عليه نهاية الآية دون مقدمات تشير إليه في أولها.

27- ومرة أخرى، تعود السورة إلى الموازنة بين المؤمنين والكفار، فتقدم لكل من الفريقين صورة، لكن الصورة في هذه المرة مكانها هذه الحياة، لا الحياة الأخرى. تقول:

This file was downloaded from QuranicThought.com

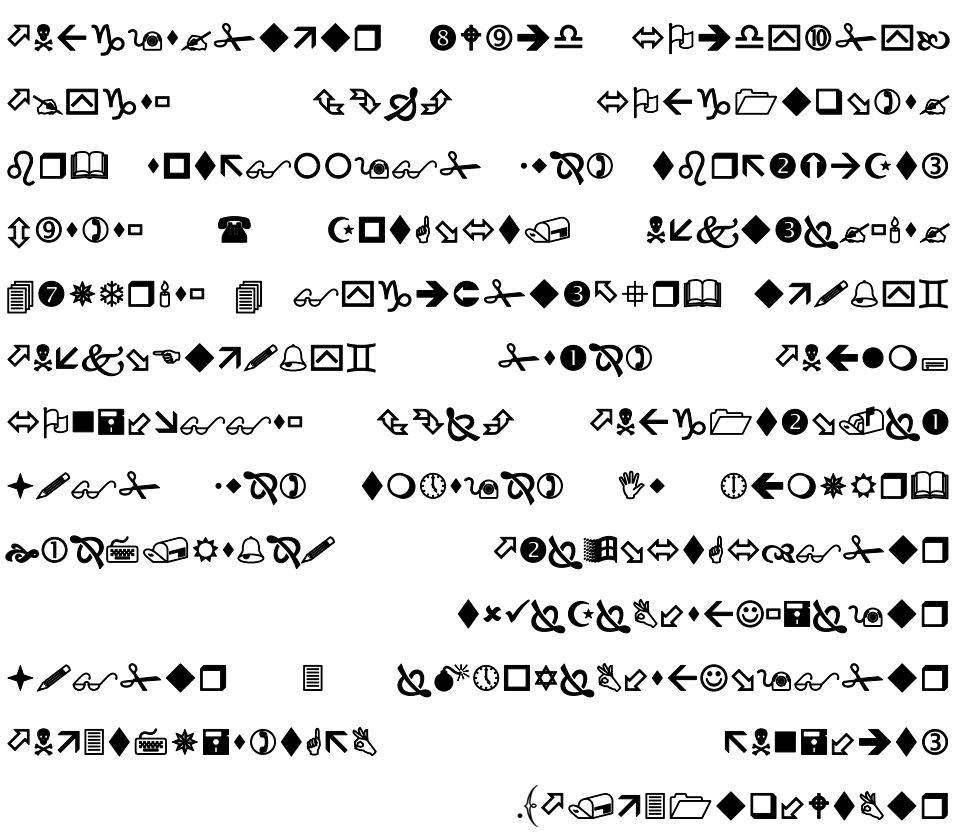

إنها صورة المنافقين الذين يجلسون إلى رسول الله ﷺ جلسة المستمعين إليه، المقبلين على كلامه، المهتمين باستماعه وتفهم معانيه ومغازيه، وهم مع ذلك شاردو العقول، لا يفهمون ولا يسمعون شيئًا مما يقال، حتى إذا غادروا أماكنهم من مجلس الرسول تساءلوا في استهانة بكلامه: ماذا قال أنفًا؟ أي: ما الذي قاله محمد في مجلسه ذاك، فنحن لم نسمع منه شيئًا؛ لأنه ليس جديرًا بالسماع ألا أخزاهم الله، فما الذي يجدر الاستماع إليه إذن؟

لكنهم لا استعداد عندهم للفهم، ولا للتقبل، بعد أن اتبعوا أهواءهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وخضعوا لها، واستبدت بهم هذه الأهواء، فتركت على عقولهم وقلوبهم ظلمات من آثار استبدادها وطبعت عليها وحجبتها عن أن ترى النور، وتتبين الهدى ﴿🕮⬆❒🕯♑︎⬧🕒❋⯑🙵🖮⊠ ✂🙰🙰🖉⅄🕭🙜⇦✖♦ ⊂⬧🕱♦➚⊠ ✦🖉🙰✂ ⇱♦🖎■❼🗐 🕭➔🖬➔❒🀰🙵🙳🙵☠⇗[1] ❒♦✂🙰🖎❒🖮♦➔⇱❒☑✂☎ 🕮❒♎︎⬃❒♦✂🖉➚♦♎︎➔🏱⬄﴾!

-28 ﴿❒♦✂🙰🖉⅄🕭🙜⇦✖♦ ✂🙰♎︎⬃⚿♦⑨⊠❒⬃✂☎ 🙰⊠✂⑩⊠♎︎➔🏱⬄ ♎︎➔⑨⚵❽ ❒♦➚♦✂🖎⬧♋︎♑︎←☠⇗ 🖎⬧◑⬂❒♦🗁♑︎←🏱⬄﴾.

وهذه هي الصورة المقابلة لصورة المنافقين، المذكورة في الآية السابقة. فإذا كان المنافقون يستمعون إلى ما يقول الرسول ولا يسمعون، ولا يفهمون-فإن المؤمنين الذين اهتدوا، يزيدهم الله هدى حين يستمعون إليك، بما يسمعون منك. إن ما تقوله هو بالنسبة لهم غذاء لقلوبهم، وشفاء لنفوسهم، ونور لعقولهم يقوى به إيمانهم، ويزيد به إقبالهم على العمل الصالح، وعلى طاعة الله.

وشيء آخر، هو أن خشيتهم لله باتقائهم غضبه، وما يستوجب عذابه في الآخرة، تزداد كلما زادوا استماعًا إليك، وإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ليحبب إليهم الاستماع إليك، فيمنحهم الخشية والتقوى، ثم يمنحهم ثوابه

---

(1) في أساس البلاغة: طبع الله على قلب الكافر. وفيه: طبع الكتاب، وعلى الكتاب: ضرب عليه الخاتم. ومن هنا يقال: ختم الله على قلب الكافر، كما يقال: طبع على قلبه، وكلا التعبيرين يراد به تمكن الضلال من القلب، بحيث يبدو كأنه قد عفى على الهدى ومحاه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

على هذه الخشية وتلك التقوى.

إن المنافق يستمع ولا ينتفع، ويستعيد ولا يستفيد، أما المؤمن فيستمع ليعلم، ويعلم ليعمل. وإنه ليخشى الله ويتقي عذابه، وإن ضميره اليقظ ليشعر بهول المخالفة فلا يجسر عليها، ويحس لذة الطاعة فيقبل عليها، حتى لتصير تقوى لا يخاف معها لومة لائم، ولا يبالي وهو يستمسك بها غضب مخلوق. قال تعالى في وصف المؤمنين:

﴿✃☙✎⅄🔔♉⇦▫🙢 ③⇖🖮♦🖬♧♉⇔⇗❑♌♦
❻🙦♋⍃🕔🖬■🕔✳♉ ✃☙✎★
❑♦❻⬧③⬂⌖♦❑⬀☼♦❍🡐🕔 ❑♦•• ⬧③⬂⌖♦❑⬀♌♦
🕮❑■♦⑨⯑✃ ☽♊•• ✃✎⅄﴾[1]، وقال:
﴿③♦🕔❋♁❑⑨🙢♧❑☙ ✃☙🔘♒☪☐🖫🙤🙦❺
✃☙🖎❑🖃🙤 ✃✎⅄ ❑♦•• 🖎➔➲♉➚🙥
✃☙🔘♒⬂▤•🕔🞕♉❷🙦⇦✖♦
❑♦✃☙🔘♒⬂☺🡐☪♦🕔🞕♉☽🙤✓✖♦﴾[2].

فالمنافق يخشى الناس من مؤمنين وكافرين، فيتردد بينهما، ويحاول أن يرضيهما ويسخط الله. والمؤمن لا يخشى أحدًا غير الله, ولا يفعل إلا ما فيه رضاه، وهو لهذا يتقيه. إن المؤمن المهتدي يغاير المنافق، حيث علم ولم يعلم المنافق، واتقى الله واتقى المنافق غيره[3].

---

(1) سورة الأحزاب : 39.
(2) أول الأحزاب.
(3) انظر تفسير الفخر الرازي للآية : 540 - 541 ج7.

This file was downloaded from QuranicThought.com

29- وماذا ينتظرون؟ إنهم لاينتظرون إلا مجيء الساعة، وقد أوشكت أن تجيء، فقد بدت أشراطها، أي علاماتها، ومن بينها انشقاق القمر، وبعثة محمد، وغيرهما.

وإنها حين تجيء لتبغتهم، وتفاجئهم، دون ترقب منهم ولا توقع، فلن يستطيعوا حين ذاك أن يتداركوا ما فرط منهم، ولا أن يؤدوا ما فاتهم أداؤه من [واجبات](*) الطاعة طوال عمرهم! وصدق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذ يقول: ﴿ ﴾، أي كيف تتاح لهم الذكرى ، وكيف ينتفعون بها إذا جاءتهم الساعة بغتة؟

إن العمل لا سبيل إليه حين ذاك، ولن يكون هناك بالطبع مجال للتوبة. فسيذهبون إذن بكفرهم وذنوبهم التي اجترحوها، وسيعاقبون على ذلك كله.

وما دمت قد علمت ما يسعد المؤمنين وما يشقي الكفار، فاثبت على ما أنت عليه من إيمان بالله وحده، وتقوى له، ومن ندم على ما أسلفت من ذنوب، واستغفار لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، وإن كان ذنبك جنسًا آخر غير ذنوبهم، فإنه إنما يقع بسبب ترك الأفضل والأولى.

وإن الله لمعكم في دنياكم حيث تتقلبون، وتنتقلون من مرحلة إلى التي بعدها، وفي آخرتكم حيث تقيمون وتستقرون. ومن كان الله معه هنا وهناك كان جديرًا بأن يهتم بأمر آخرته فيستعد لها، حتى لا يكون مثواه

(*) كانت في الأصل المطبوع [واجيات].

This file was downloaded from QuranicThought.com

النار, وقانا الله جميعًا شرها.

30- وواضح أن السورة في الآيات الثلاث السابقة التي تبدأ بقوله: ﴿❑◆✋⧫❁✍&⬋☠ ✋❑⌶ ④❑⬭⇔✌♦☺⧫⬈←
◑⧫⬢•⓿⧅⌨⍓﴾ تصف طائفة خاصة من الكفار هم المنافقون.

فتدمغهم أولًا: بأن ما يبدونه من اهتمام بما يقوله الرسول ليس حقيقيًّا، وإنما هو تظاهر وخداع، وتكشف عن لؤمهم وخبثهم إذ تصور تساؤلهم عما قال الرسول بـعد أن استـمـعـوا إلـيـه، ولم يسمعوه عرضًا ومصادفةً، وتبين أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد طبع على قلوبهم، وطمسها، فلم يعد النور ينفذ إليها، وفقدت التمييز بين الحق والباطل، وبين مصلحتها الحقيقية وهواها.

وثانيًا: توازن بينهم وبين الذين اهتدوا، فآمنوا بالله ظاهرًا وباطنًا. واستمعوا إلى الرسول ففهموا عنه ووعوا ما قال، ولم يسخروا منه، وزادهم الله هدى على هداهم؛ إذ يسر لهم العمل الصالح، وأعانهم على فعل الخير، ثم آتاهم تقواهم وهي الحساسية الدينية المرهفة، أو الضمير الإسلامي اليقظ، كما سميناه ونحن نتحدث عن التقوى في الآية الأولى من سورة النساء، وفي الآية الأولى أيضًا من سورة الأحزاب[1].

وثالثًا: تحذرهم من مجيء الساعة، بأسلوب الاستفهام التقريري؛ لتبكتهم على اتباع هواهم، وإضاعتهم حياتهم في الكفر والضلال. وستبغتهم الساعة بقيامها على غير توقع ولا انتظار منهم، فقد بدأت

(1) انظر تفسيرنا للأمر بالتقوى في صدر سورة النساء فيما سبق، وفي صدر كتابنا تفسير سورة الأحزاب ف17 و18 ص32- 34.

This file was downloaded from QuranicThought.com

علاماتها تتحقق واحدة بعد الأخرى. ومن هذه العلامات انشقاق القمر، وبعثة الرسول ﷺ؛ ولهذا سمي ﷺ نبيَّ التوبة، والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي وإذا جاءت الساعة فلا مجال للتوبة، ولا للعمل الصالح، ولا للتذكر، فالوقت حين ذاك للمجازاة لا للعمل، ولا لتدارك ما ضاع بالتوبة.

وفي ختام تلك الآيات التي تصف المنافقين وصفًا عامًّا، وتوازن بينهم وبين المؤمنين، ثم تحذر المنافقين من قيام الساعة بغتة، وفوات فرصة العمل والتوبة بقيامها تأمر النبي ﷺ بأن يعلم علم اليقين أنه لا إله إلا الله، فهذا هو الأساس لكل ما بعده من عمل، وتأمره كذلك بأن يسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ المغفرة لذنبه-وهو عادة وبحكم العصمة ترك الأفضل والأولى- ولذنوب المؤمنين والمؤمنات: ﴿❒◆✑✍✎✦ ③◆➔⬃🖬■☠⇖ ✌⇖☝◆☽⬩🖬✵🖮◆▤⇗☠⬀ ❒◆✌◆⌖⬃❑◆🗁▤⇗🖭⬀﴾، حيث يشعر القلب المؤمن بالطمأنينة والخوف [جميعًا][*]، أما الطمأنينة فمن حيث إنه في رعاية الله حيثما تقلب أو ثوى، وأما الخوف فمن هذا الموقف الذي يحيط به فيه علم الله، ويتعقبه في كل حالاته، ويطلع على سره ونجواه.

31- وإن السورة لتمضي بعد ذلك في وصف المنافقين، والموازنة بينهم وبين المؤمنين، فتقول:

﴿❒◆③◆☽➔❑✌⇖ ✍✎⍓🕭✆⇦▫🙵
⬈◆✍✌◆☪⇖❑✍☎ ⬩🙵⬀❑⬃⬥⬥ ☼⇦❽⯒⌧🙵⬩☀⇳

[*] كانت في الأصل المطبوع [جميعًا].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وهي - كما نرى- تصور أولًا شوقَ المؤمنين وتَطَلُّعَهُم إلى أن تتنزل عليهم سورة جديدة من سور القرآن الذي يؤمنون بكل كلمة منه، ويجدون في تلاوته والعكوف على تدبر آياته سعادتهم كاملة. إنهم يتطلعون إلى أن تبين لهم أمرًا يشغل بالهم من أمور القتال، فتفصل فيه بما ينير لهم طريقهم، ويكشف لهم عن وجه الحق فيه، وهي تصور ثانيًا الاستجابة لهذا التطلع، وتصف السورة المنزلة بأنها محكمة, فاصلة، لا تحتمل تأويلًا، وبأنها (ذكر فيها القتال) فأمرت به، أو بينت الحكم فيمن قعدوا عنه. أو مدحت من سارعوا إليه في غير جبن ولا استخذاء.

وتجعل الآيات من إنزال السورة شرطًا جوابه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

﴿❻◆🕮❒③⬃*💣✽ ✁🙰✎⅄🔔⬀ᏜX♦ ❼ᏜX
🔔➔🖬➔❒🗄Ꮻ&Ꮻ☠ ✌❒❷♦⋎⌧ ③♦⊕➔⓿❷⬉❒♌♦
♐ᏜᎾ⓿⬂🖮⬁ ✡♦➔⬩❷♦ ✁🙰♑⬂☺⬁⬄⬂⯐⬁Ꮻ♍⬁ ⬉♦🖬■⓿⬂❍Ꮻ ✌Ꮻ♊⌘ ✁🙰♑⬂☺⬁❒⬀☠Ꮻ﴾ والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، أولئك الذين تظاهروا بالإيمان وقلوبهم منطوية على الكفر؛ لتصف الصورة التي يكون عليها هؤلاء المنافقون عندما يتلقون الأمر بالقتال.

إنهم ينظرون إليك يا محمد نظر المغشي عليه من الموت، فهم يفقدون تماسكهم، ويتجردون من ذلك الرداء الذي كانوا يتسترون خلفه، وهو رداء النفاق، ويبدو جزعهم وخورهم أمام الأمر بالقتال؛ حتى ليبدون في صورة لا تتفق وكرامةَ الرجولة في الرجال.

إنها صورة يعبر عنها القرآن الكريم تعبيرًا لا تمكن محاكاته، ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى. هو تعبير يرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حد الرعشة، والتخاذل إلى حد الغشية، ويبقى بعد ذلك متفردًا حافلًا بالحركة التي تشغف الخيال، وهي صورة خالدة لكل نفس خوارة، لا تعتصم بإيمان ولا بفطرة صادقة، ولا بحياء تتجمل به أمام الخطر، وهي طبيعة المرض والنفاق.

32- ومادام الرداء الذي يختبئون خلفه ـ وهو رداء النفاق ـ قد سقط عنهم فلم يعد يداري حقيقتهم، ﴿⌧⬩⬂❒❒⬃🖫■❼🗐

⍝⬩♑⋎⬄ ⬀⬅⬃✠⬂⬃ ⬉♦⬩🙰⬉♦❒◀ ❒♦🔔⬩❒⬀✌◀
✌❒➔⬃❷⬉❒🙰Ꮻ﴾، أما الطاعة فلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ورسوله، بناءً على

This file was downloaded from QuranicThought.com

عقيدة سليمة تقوم على أن الله هو وحده المعبود بحق، وأن محمدًا هو رسوله إلى خلقه جميعًا. وأما القول المعروف فهو عنوان القلب المؤمن، وبرهان الضمير الحي اليقظ، وآية الإحساس الطيب الصادق.

ومن الطاعة إذا عزم الأمر، وجدَّ الجِدُّ، ودعا داعي الجهاد، أن تصدق عزائمهم في الجهاد، أن يستجيب شعورهم في قوة لما صحت عزائمهم عليه، فيخوضوا المعارك في استبسال من لا يبالي الموت، ولا يتشبث بالحياة، وغايتهم إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، وتحرير أوطانهم من رقة العبودية، ووطأة الاحتلال البغيض.

إنهم إن صدقوا العزم على ذلك، وخاضوا المعركة ـ واثقين بنصر الله وعزمه-ربط الله على قلوبهم، وثبت أقدامهم، ومكن لهم من أعدائهم، وأمدهم بملائكته، وهون عليهم اقتحام المخاطر، وكتب لهم في النهاية إحدى الحسنيين: إما النصر والنجاة، وإما الاستشهاد والجنة.

وهذا هو الإيمان وأثره، فهو يحيل الجبان شجاعًا، ويمد الضعيف بالقوة، ويجعل من القَلِق الحائر إنسانًا واثقًا مطمئنًّا.

33- ولما كان هذا الأثر لا يتحقق فيهم إلا حين يطيعون الله ويتقونه، ويصدقون في قتالهم ودفاعهم عن دينه الحق خاطبهم قائلاً: ⦃□♦♑⊠✍⬀ ⇱♦○✽⑩⬂☞⬅⚐⬄ ✆⬋♌

✍♦□◆✆⅄⑩⬂⬇⬈☹⬃ 🕮□♌ ✍➔⊞⬂○⬁⑨⬅□✂☎ ✗⬈❼ ✂✍❀☞❻⬀⮛⬁ □◆✍➔✆♦➲♏♎➔⬉□☑✂☎

🕮□❻⬀○⊠✍✋♦▤⬈☠⬀⦄، والاستفهام الذي بدأت به الآية للتقرير المؤكد، وكأنه يقول لهم:أنا أسألكم عن هذا، وأنتم لا تملكون أن تجيبوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

إلا بلا أو نعم، فهو مقرر عندكم أو عندي[1].

و(عسى)، في أصل وضعها تفيد التوقع، لكنها هنا يستفاد التأكد منها، لا من لفظها ولكن من صدورها عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فما يفيد التوقع ممن لا يعلم الغيب, يفيد التحقق ممن يعلمه ولا يتصور في خبره إلا الصدق، و(توليتم) على ما هو القريب الذي يقتضيه السياق, معناها أعرضتم، لكن قيل: إن لها معنى ثانيًا يمكن أن يراد بها هنا، وهو: صارت لكم الولاية على غيركم.

ولعله قد أصبح مفهومًا أن معنى الآية: أن جبنكم عن القتال بحجة أن العرب رحم لكم وأقارب فلا ينبغي أن تقاتلوهم وتقتلوا منهم، ليس له ما يسوغه بحال، فإنكم حين تقعدون عن القتال تنغمسون فيما ألفتموه من إفساد في الأرض، وعبث بالحرمات وقطيعة للأرحام، وعدوان على الآمنين المسالمين في شكل غارات وحروب لا تكاد تنتهي. وإذن فليس رفضكم القتال في صفوف المسلمين من أجل الإبقاء على القبائل الأخرى، ولا بسبب صلة الرحم التي تربطكم بهم، ولا بقصد نشر ألوية السلام في ربوع الجزيرة؛ لأنكم ستنشب بين قبائل كثيرة من قبائلكم حروب كثيرة لأسباب تافهة، ولن ترعوا للأرحام حقًّا، ولن ينشر السلام ألويته على ربوع جزيرتكم مادمتم على هذا الضلال.

إنما هو كفركم المستور، وجبنكم المفضوح، ما دمتم مصرين على ضلالكم، وعلى ما ألفتموه من إفساد في الأرض، وانغماس في الشهوات.

-34 ﴿🕮↑□♁●⌚•◷✵◈✍⌨⊠ ✂✍✎✈♙☟⇦×♦

---

(1) انظر تفسير الفخر الرازي ج7ص544.

This file was downloaded from QuranicThought.com

[23]. وهذا هو حكم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عليهم. إنه اللعنة والإبعاد عن رحمة الله. ومن نتائجه ألا يستمعوا إلى نصح صادق وألا يروا الطريق إلى الحق.

[24]، أما هذا فهو تساؤل استنكار ينصب على عدم تدبرهم للقرآن، إنهم لو تدبروه وتفكروا فيه لزالت الغشاوة عن عيونهم فرأوا، وانسكب النور في قلوبهم فاهتدوا. وفتحت المنافذ إلى قلوبهم فتخلصت ضمائرهم من ظلمات الضلال.

أم هم لا يحاولون أن يتدبروا القرآن، ويتفهموا آياته؛ لأنهم أحكموا إغلاق قلوبهم دونه، حتى لكأن عليها أقفالًا محكمة تمنع النور والهواء أن ينفذا إليها؟

35- [وتمضي](*) آيات السورة في تصوير حال المنافقين، لكنها تضيف بيان السر في انصرافهم عن الإيمان بعد أن أوشكوا أن يؤمنوا ، فيقول:

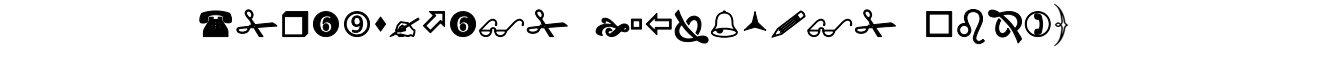

(*) كانت في الأصل المطبوع [ونمضي].

This file was downloaded from QuranicThought.com

[illegible] وهذه الآيات تتحدث عن المنافقين بوصفهم مرتدين على أدبارهم، مع أنهم لم يسبق لهم الإيمان حتى تقع منهم الردة؛ لأنها أخبرت عنهم بأنهم كفروا من بعد ما تبين لهم الهدى، فكأن إصرارهم على الكفر بعد أن عرفوا الحق ردة منهم عن الإيمان. يقول الطبري في تفسير الآية: (يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: إن الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارًا بالله، من بعد ما تبين لهم الحق وقصد السبيل، فعرفوا واضح الحجة ثم آثروا الضلال على الهدى؛ عنادًا لأمر الله ـ تعالى ذكره ـ من بعد العلم)[1].

(1) ص 37 ج26 من تفسير الطبري. الطبعة الأولى ببولاق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهي تتحدث عنهم لتحكم عليهم حكمين، أولهما: يقرره قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿⊁✍⊕⊙⓿⊴⮊⧫⊙ⵈ⊥⭠ ⋈⊡⊠◻▪✌⧫ ⊚ⵈ⧫♑⭠⚇⊿﴾ بمعنى زين لهم ضلالهم، وأغراهم بالإصرار عليه، وأغواهم، وثانيهما يصوره قوله ـ تباركت ذاته ـ: ﴿◻⧫🕮◻✎⊴✍■❼🗐 ⊚ⵈ⧫♑⭠⚐⬄﴾ والإملاء لهم- بمعنى المد في آجالهم علاوة من الدهر-يقع من الله لا من الشيطان، فالكلام على معنى الشيطان سول لهم، والله أملى لهم. ومن ثم قرئ: ﴿**وأُمْلِى لَهُم**﴾ (بالبناء للمجهول)، غير أن القراءة التي جرى عليها جمهور القراء أصح من هذه القراءة. وإنما لم يذكر لفظ الجلالة بوصفه المملي لهم لأنه معلوم بداهة لكل مؤمن، بل لكل عاقل ولو لم يكن مؤمنًا.

36- وفي الآية الأولى من هذه الآيات يصور الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كفرهم وانصرافهم عن الحق بعد أن تبين لهم، بصورة الارتداد على الأدبار، وهي صورة حسية بما فيها من حركة المرتد، ودبره. صورة لظاهر حالهم يمكن أن ترى بالعين. ثم يصور ما وراء هذا الارتداد، وهو باطن حالهم، إذ يتحدث عن تزيين الشيطان للكفر, وإغرائهم بـه، وعن إغرائه لهم بهذا التزيين والإغراء. فهو إذن قد كشف حقيقتهم، وأوضح من أمرهم ما كانوا حريصين على ستره.

أما الآية الثانية من هذه الآيات، فهو يذكر فيها سر تسلط الشيطان عليهم وإغوائه إياهم، مع أنهم قد تبين لهم الهدى إنه اتباعهم وطاعتهم لليهود، واليهود في المدينة هم أول من كرهوا ما نزل الله؛ لأنهم كانوا يتوقعون أن تكون الرسالة الأخيرة فيهم، وأن يكون خاتم الرسل منهم. وكانوا يستفتحون على الذين كفروا ويوعدونهم ظهور

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النبي الذي يقودهم ويمكّن لهم في الأرض، ويسترجع ملكهم وسلطانهم فلما اختار الله آخر رسله من نسل إبراهيم من غير يهود، أي من نسل إسماعيل, لا من نسل إسحاق كرهوا رسالته. حتى إذا هاجر إلى المدينة كرهوا هجرته، التي هددت ما بقي لهم من مركز هناك. ومن ثم كانوا إلبًا عليه منذ أول يوم، وشنوا عليه حرب الدس والمكـر والكيد، حينما عـجــزوا عـن مناصبته الـعـداء جـهــرة في ميادين القتال، وانضم إليهم كل حانق وكل منافق، وظلت الحرب سجالًا بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى أجلاهم في آخر الأمر عن الجزيرة كلها، وخلصها للإسلام.

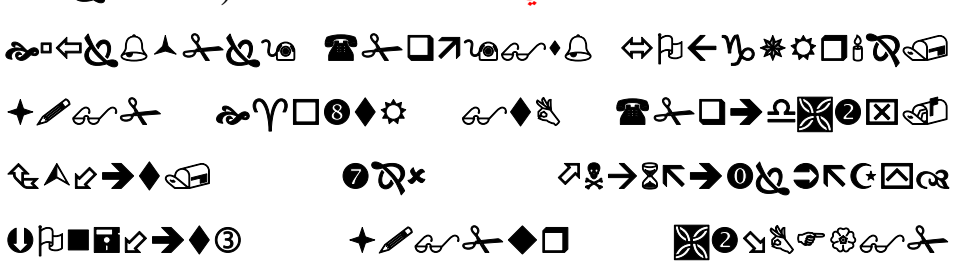

37- لقد قال في تلك الآية: ﴿➊⬩🕒♍︎⚇①♋︎ ✍︎⚆♎︎⚇✦⚬⬀♓︎♈︎⚾︎⬄ ✆✁❐⬀♓︎⚾︎⚆✦⬩⚐ ⇔⚐⬅♑︎✸✡︎❒♌︎⚇⚐ ✦✍︎✍︎✁ ♋︎♈︎❐❽⬧✡︎ ⚆✦✋︎ ✆✁❐➔♎︎⌘❷⌧✍︎ ⬘⬙⬃➔♦︎✍︎ ❼⚐✕ ⬀☠︎➔⌛︎⬉➔⓿♋︎⬎⬉☪︎⊡♋︎ ⓿✇■🖬⬃➔♦︎⓷ ✦✍︎✍︎✁♦︎❒ ⌘❷⬂✋︎☞︎❀✍︎✁ ➋⚐·⬄➌♦︎✁❻♦︎♎︎➔⚐⇔﴾، فما الأمر الذي وعدوا اليهود بأن يطيعوهم فيه؟ إنه حسب مقتضى السياق هو التآمر على الإسلام ورسول الإسلام، بطريق الدس والكيد والمكر الخبيث، التآمر مع اليهود الذين كرهوا القرآن والرسالة والهجرة إلى المدينة، فهم إذن ليسوا اليهود، ولكنهم منافقون كانوا مشركين قبل أن يتظاهروا بالإيمان ويَدَّعُوه. وقد جمع بينهم وبين اليهود عداوتهم للإسلام وللرسول الذي بُعث به ودعا إليه فمضوا يكيدون له ويتآمرون به، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

This file was downloaded from QuranicThought.com

لقد كادوا للإسلام، وتآمروا عليه وهم يتسترون وراء نفاقهم، كي لا يفتضح سرهم، مع أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يعلم دسهم، وإخفاءهم لحقيقة ما يشعرون به نحو هذا الدين الحق، وسيعاقبهم عليه.

إنه تعقيب كله تهديد، تهديد بأن تآمرهم لن ينال الإسلام ورسوله منه شيء، ولن تكون له النتيجة التي علقوها عليه وربطوها به، فإنه مهما يجتهدوا في ستره مكشوف لعلم الله، ومهما يبالغوا في إحكامه معرض لقوة الله.

38- وسيرون طرفًا من هذا العقاب وهم يفارقون الحياة، عندما تقبض الملائكة أرواحهم، فسيضربون وجوههم وأدبارهم حين يحتضرون، فيشعرون بأنهم موشكون أن يفارقوا الحياة التي ضلوا فيها وأسرفوا على أنفسهم؛ ليستقبلوا الحياة الدائمة التي سيحاسبون فيها على كفرهم وانحرافهم عن الجادة. وهي حياة يستقبلونها وهم يضربون على وجوههم وأدبارهم إهانة لهم. تلك الأدبار التي ارتدوا عليها من بعد ما تبين لهم الهدى.

ولقد استحقوا هذا العقاب بسبب انغماسهم في المعاصي التي تسخط الله، وكراهيتهم وعدائهم للطاعات التي ترضي الله، وأول معاصيهم وأخطرها عليهم كفرهم بالله، وبكلامه، وبمحمد رسوله. وأول الطاعات التي كرهوها وناصبوها العداء هي الإيمان بكل ما يجب الإيمان به، ثم عملهم بكل ما يحتمه الإيمان عليهم، مع إقرارهم بما آمنوا به، وهو الإسلام المطلوب منهم إلى جانب الإيمان.

إن اتباعهم لما أغضب الله، وكراهيتهم لما فيه رضاه كانا هما

This file was downloaded from QuranicThought.com

السبب فيما حكم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به على أعمالهم بالإبطال، وإن كانوا قد تعاجبوا بها وحسبوها مهارة وبراعة. ومن هنا كان فشلهم الذريع في كل مؤامرة حاكوها للرسول ﷺ، فما نجحوا في مؤامرة قط، وبطل كل ما دبروه من كيد للإسلام والمسلمين، ومن دس دنيء أرادوا به النيل من محمد والإساءة إلى دعوته.

39- ويستمر السياق في التنديد بهم والسخرية منهم، وفي كشف ما حرصوا على كتمانه، وهتك الأستار التي حاطوا أنفسهم وأعمالهم بها:

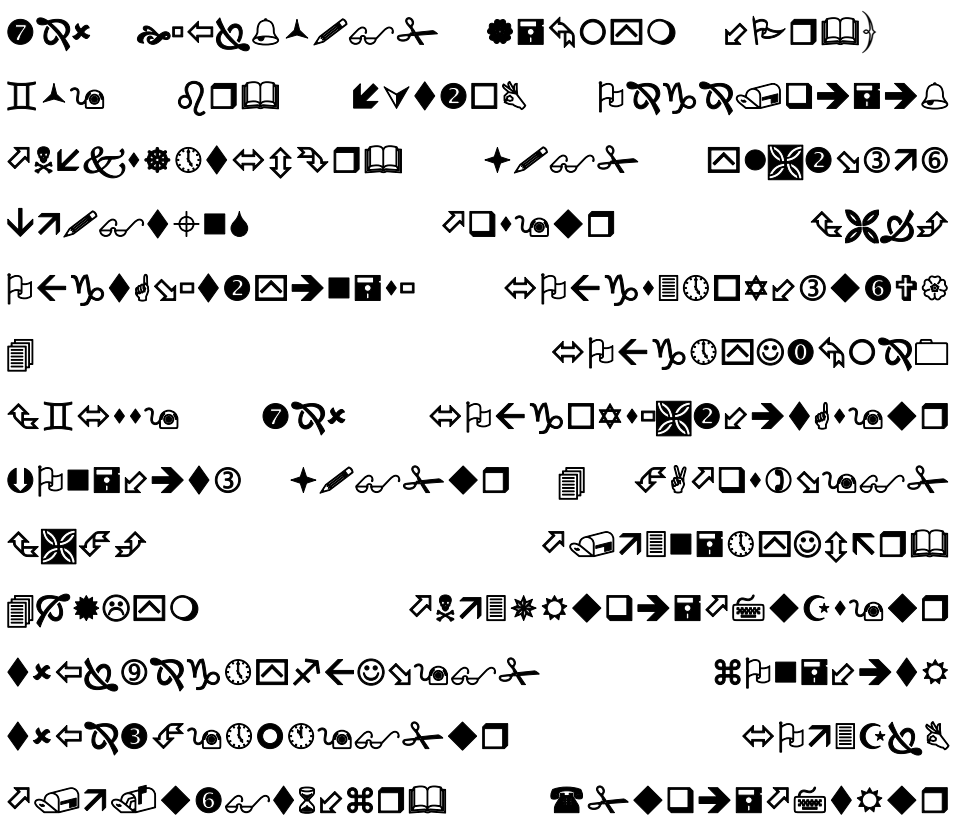

This file was downloaded from QuranicThought.com

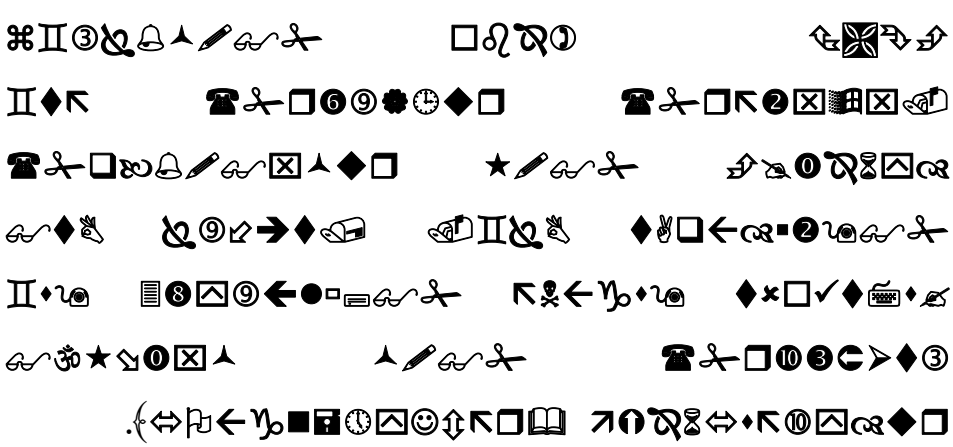

وهو تهديد واضح لهم يكشف أمرهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين. لقد كانوا مستخفين وراء تظاهرهم بالإسلام، وهم يتآمرون به وبرسوله وبالمسلمين، ويكيدون لهم. وكانوا يعتمدون في هذا على إجادتهم فن النفاق، حتى ليخفى أمرهم على المسلمين. فسفهت هذه الآيات ظنهم أن أمرهم سيبقى مجهولًا من المسلمين خافيًا عليهم، ثم هددتهم بإظهار ما أخفوه من أحقاد على المسلمين وحرص على إيذائهم والإضرار بهم، من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يخاطب رسوله قائلًا له: ﴿ ﴾، ولم يكن بعد قد كشف له عن نفر منهم بأعيانهم وأسمائهم، أو بسماتهم وعلاماتهم التي تميزهم، ولو يشاء لفعل، فكشف لك عن حقيقتهم، وعينهم بأسمائهم أو بعلامة فيهم، فهم جميعًا ليسوا بخافين على الله؛ لأنه يعلم حقيقة ما يضمرون وبواعث ما يعملون، لكنه لم يدعك دون تعريف بهم. ولو أنه لم يحدد لك ذواتهم، فإن فلتات ألسنتهم وما تجري به من كلام لم يقصدوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

إليه ستدلك على نفاقهم: ﴿⬄🏱←♑□✡⬧⌧❷⬀➔♦☝⬧⧫◆⧠ ❼⧩✗ ⧫⬧⬧⬄⌶⬗ ⬳⧫⬧◑⬧❑⬀☠☝⬳﴾، ولحن القول- فيما قال الأزهري-كالعنوان، وهو كالعلامة تشير بها فيفطن المخاطب لغرضك[1]، وفيما قال الزمخشري:(..وعرفت ذلك في لحن كلامه: في فحواه. وفيما صرف إليه من غير إفصاح به[2] لكن المراد به هنا ما يبديه الله على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم مما أرادوا كتمانه وإخفاءه، ففي الحديث: «**مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبْدَاهَا اللهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ**».

40- وهنا يوازن الله - عزَّ وجلّ - في إيجاز بينهم وبين المؤمنين المخاطبين بهذه الآيات، حين يقول بعد وصفه

للمنافقين﴿⧠◆⬳✦ ⓿🏱■🖬⬀➔♦③ 🕮⧠⬁⇳☺⍓🕔🖬■▤⬈⬃⬀﴾، وهو وعد للمؤمنين مبني على مخالفة حالهم لحال المنافقين، فإن المنافق يقول ولا يعمل، والمؤمن يعمل ولا يقول إلا أن يكون قوله استغفارًا وذكرًا وتسبيحًا. كان المؤمنون يعملون الصالحات ولا يتكلمون في السيئات إلا مشفقين مستغفرين، أما المنافقون فهم يتكلمون في الصالحات كقول الواحد منهم أنا معكم ومنكم: ﴿⍓⬧⬳⧫⬧✳❸⬊ ⬳⬳☞⬁⇳❹❀✁⬳❀☞➲﴾

﴿⬈⬧✁✌⬧✡□⬳﴾[3]، ﴿⧠◆✌⬊⌶⌘ ⬳⧫⬳⬳✡□⬳□⬲﴾

---

(1) المصباح المنير للفيومي ص: 756.
(2) أساس البلاغة للزمخشري ج2 ص336.
(3) الآية 14 في سورة الحجرات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

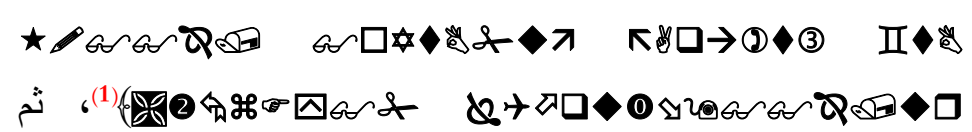

لايعملون إلا السيئات.

ومن اختلاف حالهم عن حال المؤمنين وازن الله بين الفريقين، حين قرر أنه يعلم أعمال المؤمنين فلا يضيع جزاءهم عليها، وترك لنا أن نستنتج مما وصف به المنافقين ما يعلمه عنهم، وهو أقوالهم الفارغة، فلا يدع عقابهم عليها.

41- وسيزيدكم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تعرفًا على المؤمنين حقًّا، وتمييزًا لهم عن المنافقين الذين يفسدون في صفوفهم، باختباره لكل من ينتسب إلى المسلمين، ويدعي الإسلام ويظهره.

سيختبر بالسراء والضراء، والنعماء والبأساء، وبالفرح والكرب، وبالسعة والضيق، وبكل ما تنفعل به النفوس فتكشف ما يدور في داخلها. ونتيجة لهذا الابتلاء ستعرفون المؤمنين والمنافقين، فالمؤمنون مجاهدون في سبيل نصر دينهم ونشره، وغاية أملهم أن يستشهدوا وهم يدافعون عنه ويقاتلون تحت لوائه وهم يصبرون على كل ما يقع بهم في حياتهم مما يجزع الآخرون إذا وقع بهم من كرب وضيق، وضراء وبأساء؛ لأنهم على يقين من أن كل ذلك قد سبق به علم الله وقدره، وأن الصبر عليه يرفع درجتهم عند الله، فيجزل الله ثوابهم عليه. وهم كذلك يشكرون لله نعمه جميعًا ـ وما أكثرها ـ فلا تبطرهم هذه النعم؛ لأنهم يستقبلونها على أنها من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيصرفونها فيما خلقت لأجله، ويزدادون

(1) الآية 8 في سورة البقرة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

بشكرها قربًا من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ واستحقاقًا لمثوبته.

وإسناد العلم-نتيجة للابتلاء- إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مراد به إظهار علمه بخلقه لا حدوث هذا العلم. وهو يتناول أخبارهم بنص الآية: أي صدق إخبار المؤمن عن إيمانه، وكذب إخبار المنافق عن الإيمان الذي يدعيه، ويظهر ذلك باختبار الأمة الإسلامية بالجهاد، فسيقدم المؤمن عليه غير خائف، وسيجبن عنه المنافق، فينكشف أمره.

42- وتعود السورة إلى الحديث عن الذين كرهوا ما نزل الله وهم أهل الكتاب واليهود منهم خاصة، فتحكم عليهم بأمرين إذ تقول: ﴿❐♌♋♐ ✃〠✍♔⌂♎③♊⌘ ✍▣▩▣❷⇖❐✃☎ ❐◆⌚❁⑨⑥❐✃☎ ⇖◆♊ ♒◰⌛♋⓿✍✍ ✃〠✍★ ❐◆⅄▣〠✍⌂♍❐✃☎ ✃〠✍⓾❷▪♒⇠❐✌◆ ✌♎♊✍ ✍➔◆⇗⑨♎ ✌◆〠 ✍•⌨◆✓❐×◆ ⓾•♑⇠☠⇖ ✃〠✍▭▫●⇠⑨◰❽▤ ⓾•♊ ③◆≻⊂❸⑩❐✃☎ ✃〠✍⅄ ⅄▣⓿⍄★ॐ〠 ❐◆♒◰⑩⇖•⇔⌛♋⓿⇗ 🕮❐⇖⇳☺◰⏲▪■♑⇠⚐⇔﴾. فهم هم الذين كفروا بمحمد بعد أن كانوا يبشرون به قبل أن يبعث. وهم الذين بذلوا كل ما استطاعوا من جـهـد للحيلولـة بين النـاس وبين أن يدخلوا في الإسلام، ولصرفهم عن أن يقبلوا رسالة محمد، أو يؤمنوا بأن القرآن كلام الله. وهم الذين ناصبوا الرسول العداء، وراحوا يكيدون له، ويتآمرون به، ويؤلبون المشركين عليه ويتعاونون معهم على حربه، مع أنهم كانوا على يقين من أنه هو النبي الذي بشرت به كتبهم، وقد تبين لهم الهدى فتركوه إلى الضلال،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومضوا يدعون إلى هذا الضلال ويعملون على نصره.

ولقد حكم الله عليهم بأمرين: أولهما هو المعبر عنه في قوله:

﴿☜♑•♊ ③♦➢⊂❸❿❐✃☎ ✃♌✍⅄
⅄☒⓿⍄★ॐ♌﴾، وإنهم لأتفه من أن ينفى عنهم الإضرار بالله ذاته، فالمنفي عنهم إذن هو الإضرار بدين الله وشريعته، أي لن يضروا دين الله ولا شريعته في كثير ولا قليل؛ لأنهم من الضعف والهوان على الله بحيث لايملكون أن يصدوا الناس عن سبيله، أو يحولوا بينهم وبين الإسلام.

أما الحكم الثاني فيصوره قوله تعالى:

﴿❐◆♒⍓❿⇖•⬄⌛☒⓿➚ 🕮❐⇖⇳☺⍓🕔▣■♑←⚐⬄﴾،

وكون الفعل هنا للزمان المستقبل-بعد الحكم على الذين كفروا في الآية الأولى من السورة بأنه أحبط أعمالهم- يوحي بأن الذين كفروا هنا ليسوا هم الذين كفروا هناك، فهم هنا أهل الكتاب كما أسلفنا. أما هناك فالمراد بهم المشركون. وإحباط أعمالهم هناك مراد به أنها لا قيمة لها، فلا إثابة عليها.

أما هنا فالمراد به أمران: أن ما سلف من أعمالهم الطيبة قبل بعثة محمد سيبطله كفرهم بمحمد وبالإسلام، وأن كل ما يبذلونه من محاولات للقضاء على محمد أو على دينه الذي بعث به ويدعو إليه سيكون مصيره الفشل لا محالة، وسيبطله الله.

هم إذن لن ينجحوا في الكيد لمحمد، وفي حربهم التي شنوها على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإسلام؛ لأن الله سيبطل أعمالهم التي يعملونها لهذا الغرض. كذلك لن يثابوا على ما قدموا من أعمال صالحة ما داموا قد أدركوا الإسلام ولم يقبلوه دينًا لهم يؤمنون به، ويعملون بأوامره.

43- أما المؤمنون، فهؤلاء هم يتلقون منه أمرًا بالطاعة لله ولرسوله وتحذيرًا من أن يرتكبوا من النواهي ما يترتب عليه إبطال أعمالهم:

♦×⇦♉♎⅄✎✍✁ ✍❐&✉⑨❐🕯✸🕔♦③﴿
⅄✎✍✁ ☎✁❐⇱➔⓪♉⊂❐🕮 ☎✁☑❐⇱☪♦✌✁♦⇗
••♦❐ ♦✌❐←✉▪❷♌✍✁ ☎✁❐⇱➔⓪♉⊂❐🕮♦❐
.[33]﴾⇗✉⇗▤■🖬🕔♦☞▫⇙❐🕮 ☎✁☑❐➔🖬♉⊃⇗⌨➔✍

إنه يأمرهم بطاعة الله؛ لأن طاعته هي الهدف الأسمى لهذه الحياة، وهي المقصد الأول لخلق الناس، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ثم يأمرهم بطاعة الرسول؛ لأنه المبلغ عن الله، والداعي إلى توحيده وعبادته، فطاعته طاعة لله، إذ لا يأمر إلا بما يتلقى عن الله. وأخيرًا هو ينهاهم عن أن يحدث منهم ما يبطل أعمالهم، وهو نهي يحتمل وجوهًا:

أحدها: داوموا على ما أنتم عليه، ولا تشركوا فتبطل أعمالكم. قال تعالى: ✸💣✳⇘✉♦❸⇖⌗❐🕮 ⇙×⚐⇖⬧♌﴿
.[1]﴾⌧⌨➔🖬♦☞⌧⇙ ○♊⬧⊃♦⌛⇔⬧♦⓪⬧♌

(1) الآية 65 في سورة الزمر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الوجه الثاني: لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول، كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب الرسول وعصيانه. ويؤيده قوله تعالى:

.[1]

الثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالمن والأذى، كما قال تعالى:

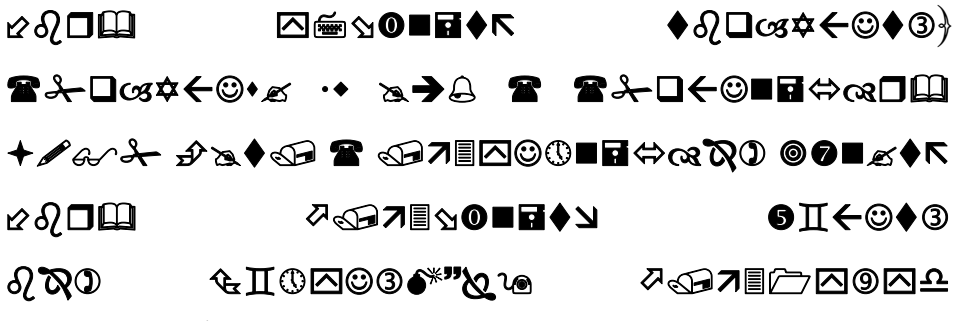

، وذلك أن من يمن بالطاعة على الرسول كأنه يقول: هذا فعلته لأجل قلبك، ولولا رضاك

(1) الآية 2 في سورة الحجرات.
(2) الآية 17 في سورة الحجرات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

به لما فعلت، وهو مناف للإخلاص، والله لا يقبل إلا العمل الخالص.[1]

44- ومرة أخرى نعود إلى الحديث عن الكفار، لكنهم في هذه الآية كل من رفض الدخول في الإسلام، من المشركين ومن أهل الكتاب يقول:

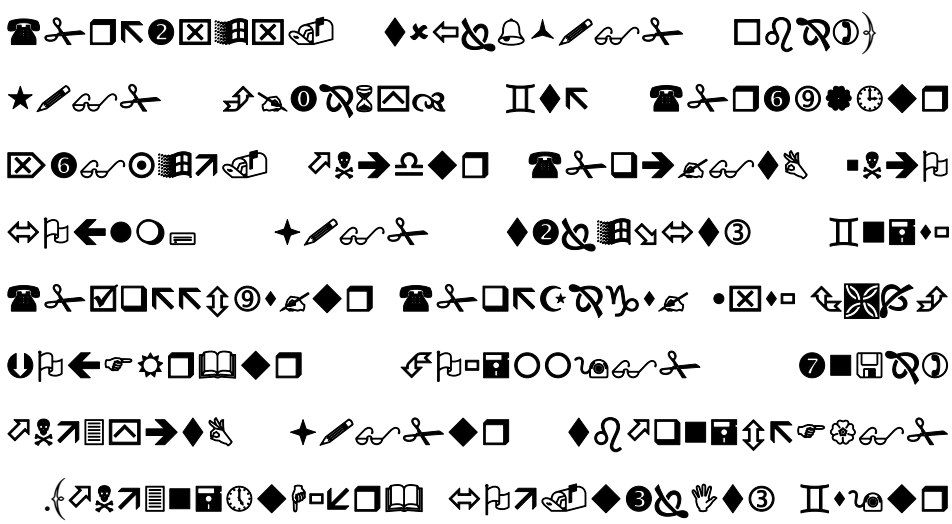

وأولى الآيتين صريحة في أن الله عزَّ وجلَّ لا يغفر الكفر به، ويغفر ما دونه، فكل من مات على الكفر لن يغفر له, لقد حرم المغفرة لموته على الكفر دون أن يقدم في دار العمل والتوبة ما يستحق بسببه المغفرة. ولن يتفضل الله عليه بها ما دام لم يؤمن به، وبأنه هو وحده الإله الذي يجب أن يعبد فقد حرمها إذن لأنه لم يعمل، ولأن الله لن يتفضل عليه بها، هكذا حكم،

(1) الفخر الرازي في تفسيره ج7ص551، وقد جمع البيضاوي هذه الوجوه كلها في تفسيره حين قال: ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء، كالكفر والنفاق، والعجب والرياء، والمن والأذى، ونحوها. وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر ص150ج4ط التجارية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومن أصدق من الله حكمًا؟

أما الآية الثانية: فهي تنهى المؤمنين عن الوهن والضعف في الدعوة إلى الله وفي قتال أعدائهم، وتنهاهم عن الدعوة إلى السلام، أو المسالمة، مع أن الكفار يشنون في كل يوم حربًا على الإسلام والداعين إليه، ومع أن المسلمين هم الأعلون في هذه الحياة لأنهم أهل الهدى، وفي الحياة الأخرى لأن الله سيغفر لهم، ثم هم الأقوياء المنتصرون؛ لأن الله معهم بتأييده وعونه، ولن ينقصهم شيئًا من أجر جهادهم في سبيل دينه، وقتالهم دونه، فضلاً عن أن يذهب بهذا الأجر كله.

45- وإذا كان الأمر الموجه إلى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله قد ترتب على ما صح في الأثر، من أن الصحابة كانوا يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل. أو كما حكى عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: («كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول» حتى نزلت: ﴿☎✁❑⇱➔⓿⊗⊂❐🕮 ⅄✎✍✁ ❑◆☎✁❑⇱➔⓿⊗⊂❐🕮◆❑ ◆✌❑←✍▪❷⊗✍✁ ❑◆•• ✍➔✉⊗⊃✁❑➔☑✁☎ 🕮❑⊿▫✆◆⏲▣■▤↗✉✁﴾، فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقيل لنا: إنه الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى: ﴿⓿⊗♌❑ ✁✍✎⅄ •• ③◆⬄⊠▦⊗❷⇱ 🕮❑♌ ④←⌑⇧❸◆⊠ ✍◆⊗❍⊗⏲ ❑◆③◆⬄⊠▦⊗❷⇱ ✍◆✍ ⑩←❑♍⊶ ❶•⏲⊗①⊶ ⊗☺⊡♊ ④❑⊕◆✍✎↗↓﴾، فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك، فكنا نخاف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على من أصاب الكبائر والفواحش، ونرجو لمن لم يصبها).

وإذا كان الحكم بعد ذلك على كل من يموت كافرًا بأنه لا توبة له؛ إنذارًا لكل كافر بأن باب التوبة سيغلق أمامه من حين يغرغر؛ لأن فرصة التوبة هي هذه الحياة فقط.

وإذا كان هذا الحكم نفسه تنبيهًا للمؤمنين حتى يتجنبوا كل ما من شأنه أن يقربهم من طريق الكفار؛ لأن قربهم منه يعرضهم للخطر، وقد ينحدر بهم إلى هاويته.

إذا كان هذا كله, فإنه لطبيعي بعد ذلك أن ينهاهم عن الضعف، بجميع مظاهره، أي أن يستثقلوا تكاليف الجهاد الطويل، ويضيقوا بمشقته الدائمة. وأن ينهاهم كذلك عن الرغبة في المهانة فرارًا من تلك المشقة!

وإنه ليعلل النهي عن الضعف والمهانة بثلاث علل تكفي كل واحدة منها لحملهم على الاستبسال في القتال ـ

أولاها: أنهم الأعلون(اعتقادًا أو تصورًا للحياة، وارتباطًا وصلة بالعلي الأعلى، ومنهجًا وهدفًا وغاية، وشعورًا وخلقًا وسلوكًا).

والعلة الثانية: أن الله معهم بتأييده وعونه، ومن كان الله معه فإن معه القوة التي لا تقهر, والغلبة التي لا هزيمة معها.

أما العلة الثالثة: فهي أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ سيوفّيهم أجرهم كاملاً على ما يتحملون في سبيل دينه، فلن يضيع عليهم ثواب أعمالهم ولن ينقصهم شيئًا من هذا الثواب.

-46

This file was downloaded from QuranicThought.com

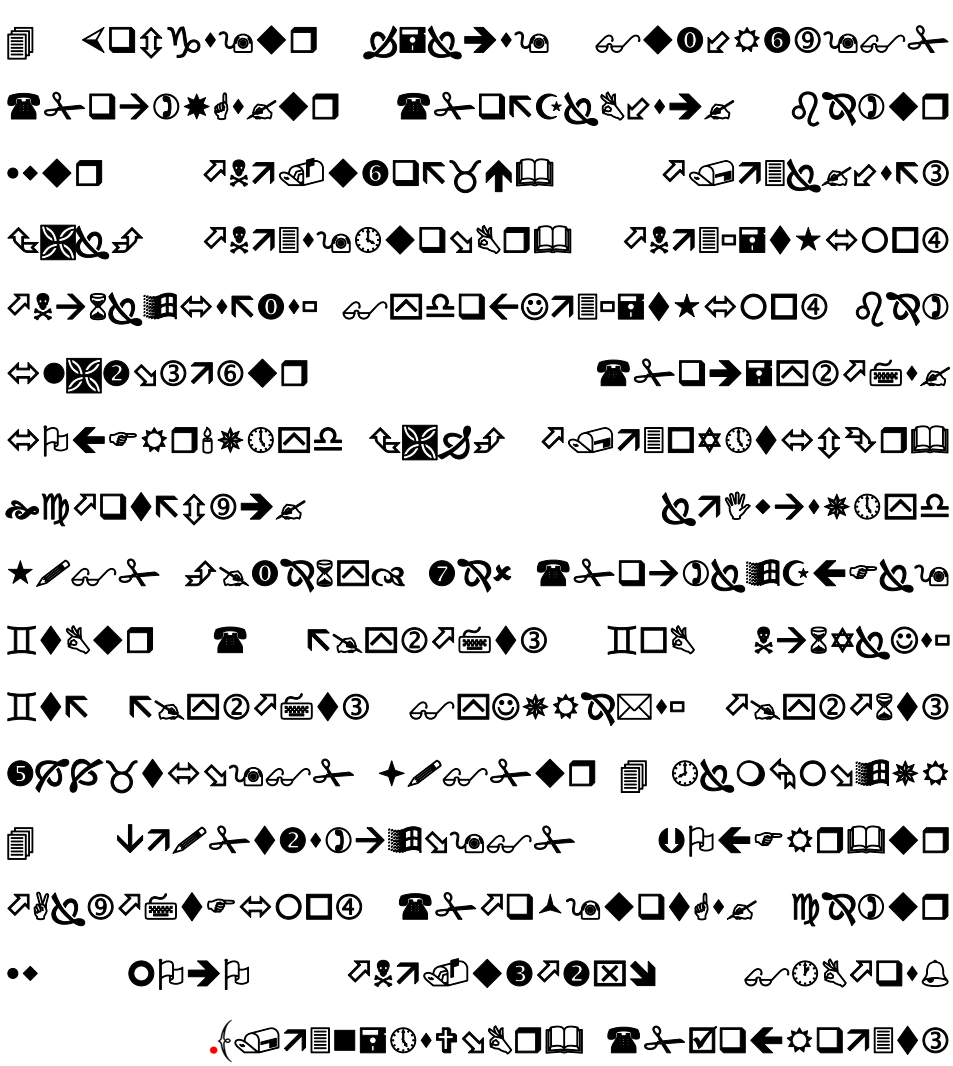

على أنه يضيف في الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث علة رابعة للنهي عن الضعف [والمهانة](*)، هي أن هذه الحياة الدنيا لعب ولهو، فأمرها هين، والتضحية فيها وبها أمر لا ينبغي أن يشغل البال، أو يورث الضعف والجبن، وطلب السلم من الكفار.

(*) كانت في الأصل المطبوع [والمهادنة].

This file was downloaded from QuranicThought.com

هي لعب ولهو، واللعب واللهو لا غاية لهما، فلا يأبه الإنسان الجاد بهما ولا يهتم، وما يجمل به أن يوصم بعار الجبن والضعف أمام عدو لا حول له ولا قوة، من أجل الإبقاء على حياة هي-في ذاتها- لا تعدو أن تكون لعبًا لا جد فيه، ولهوًا ليست له نتيجة إلا الضياع.

إنما تكون للحياة الدنيا قيمة حين تكون مزرعة للآخرة، أي فرصة للإيمان والعمل الصالح، ومجالاً للطاعة والتقوى، وامتحانًا لقوة المسلم وصبره يجتازه بنجاح، ومن ثم دل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بعد هذا مباشرة، وفي تكملة الآية: ﴿♌♐◑◆❒ ☎✃❑➔◑✸✌⬧◆❒ ☎✃❑⬉☪☝✍⬥➔⬧ ⬀☠⬈⬧◆❻❑⬉♉⬆📖 ⬀🖅⬈▤☝⬧⬥⬉③ ◆❒ ⬀☠⬈▤⬧⧗⏲◆❑⬂✍❒📖 ⬀☠⬈▤▫🖬◆★⬄❍❑④﴾.

فالإيمان والتقوى في هذه الحياة إذن هما اللذان يجعلان لها قيمة، ويطبعانها [ ](**) وهما اللذان تسمو بفضلهما الحياة الدنيا على مستوى المتعة الحيوانية [ ](**) المستوى الإنساني الكريم الذي يليق بخليفة الله في الأرض.

وتقواه، وعلى جهاده في سبيل الله، وعلى صبره في البأساء والضراء وحين البأس، وعلى شكره عند النعماء والسراء لله المتفضل بجميع النعم. ولن يسألهم الله لكي ينالوا أجورهم على أعمالهم الصالحة- كل أموالهم، فإن الله لا يشق على عباده فيما كلفهم أداءه من فرائض، ولو

(**) كلمات غير واضحة في الأصل المطبوع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كلفهم بذل أموالهم كلها لضاقت بذلك نفوسهم، وظهرت أضغانهم، نتيجة للشح الذي فطروا عليه!

47- وهذا المعنى في جملته, هو الذي يقرره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في قوله:

﴿◑♐♌ ④□○⬄★♦▣▫▤↗☺←❏♎◪✍

▫♦⓿↖♦⬄▦♋⌛➔☠⬀ ✍♦⌨⬀②◪▣➔❏✂☎

❐◆⑥↗③⬂❷▩●⬄ 🕮❐⮧⇳⬄♦◷✡❐▤↗⛍⬀﴿ أي: إن يسألكم إياها (والضمير للأموال المذكورة في آخر الآية السابقة)فيجهدكم في السؤال،(من أحفى شاربه بالغ في قصه، وأحفاه في المسألة بمعنى ألح عليه)[1] تبخلوا، تضنوا وتشحوا بها، ويخرج أضغانكم أي يظهرها ويكشفها.

والآية بهذا تكشف عن طبيعة النفس البشرية، وحبها للمال حبًّا يسيطر على قواها ونزعاتها جميعًا. وهذا الذي تقرره من أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يطلب منهم أن ينفقوا في سبيل الدفاع عن دينه إلا قدرًا من هذه الأموال زكاة, أو ضريبة دفاع، حتى لا ينكشف ما طبعوا عليه من بخل بالمال، وحرص عليه، وتضحية بالمبادئ والمثل في سبيله. وحتى لا يظهر ما حرصوا على إخفائه من أضـغــان وأحـقـاد ونزعات شريرة, الآية بهذا وذاك تقرير لواقعية الإنسان في عالمه هذا، وأسـلـوب فـي

(1) ص: 196 من «المصباح المنير»، وفي «أساس البلاغة» أن هذا استعمال مجازي، وانظر المادة في الجزء الأول منه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

التربيــة حكيم يمهد لما بعده، وهو ما قرره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في الآية التالية..

48- إنه في هذه الآية-وهي الآية الأخيرة في السورة- يخاطب المؤمنين قائلاً لهم: ﴿

﴾، فيدعوهم في أولها إلى أن يقدموا بعض أموالهم في سبيل الله، ويصفهم في أثنائها بأن بعضهم سيبخل بالإنفاق، وستكون عاقبة بخله وبالاً عليه وحده، وفي أثنائها كذلك يقرر أنه هو الغني غنى مطلقًا عنهم وعن أموالهم، وهم الفقراء إليه فقرًا يشمل كل نواحي حياتهم. ثم يهددهم في نهايتها أصعب تهديد، وأقساه عليهم حين يقول لهم: ﴿

﴾

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولنمض مع الآية فيما بينه تعالى من أحوالهم خطوة خطوة..

المسلمين في كل عصر، وكل دولة، إن إقامة الدين وحمايته يحتاجان إلى جيش مسلم، وهذا الجيش يحتاج إلى حكومة تتولى التجنيد والتسليح، كما يحتاج إلى نفقات الغذاء والكساء والعتاد. والمال جعل لينفق، فإنفاقه هو الغاية من جمعه، وبحسب ما ينفق فيه ومن أجله يعتبر للإنسان أو عليه، ويعد من حسناته أو سيئاته. فإذا دعي المؤمنون لينفقوا أموالاً في سبيل الله فإنما دعوا إلى توجيه الإنفاق هذه الوجهة، لا إلى الإنفاق بدءًا، ومن ثم لا ينبغي لهم أن يبخلوا بهذا الإنفاق؛ لأن كل مال أنفق فقد ضاع، إلا ما كان منه في سبيل الله، أي لغاية هي حماية الإسلام، وإعزاز أهله، والتمكين له في كل مكان!

لكنهم مع هذا يوجد بينهم البخيل بماله، كما يوجد الكريم الذي لا يتوانى عن البذل. وإذا كان الطبيعي بالنسبة للمؤمن هو أن يكون بالغ الكرم, فإن بخله بماله على دينه، وعلى فقراء المسلمين المحتاجين إليه، يبدو أمرًا غريبًا، غير متفق مع نظرة المؤمن الحق إلى هذه الحياة. ولهذا ذكره ليبين نتيجته، وهذه هي الخطوة الثانية.

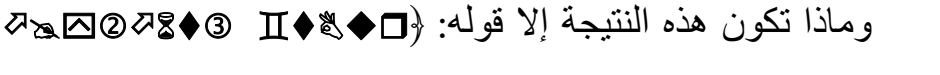

This file was downloaded from QuranicThought.com

☼❋▦⧅○⬀○♌◷)فهكذا لا تقع نتيجة البخل إلا على البخيل، إذ ينفق ماله في ملذاته وشهواته، أو يدخره كله لمن ينفعه في مثل هذا عادة، فلا يبقي له منه في أخراه إلا الحساب عليه:من أين جمعه, وفيم أنفقه؟

وصلى الله على رسوله محمد وسلم، فقد روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه أهديت إليه شاة، فقام بذبحها وسلخها، ووكل إلى عائشة أن توزع منها على فقراء المدينة، وأن تبقي لهما ما يطعمان فلم تزل توزع منها حتى فوجئت بأنها لم يبق منها إلا كتفها، وأسرعت إلى رسول الله ﷺ تقول له: «لقد ذهبت الشاة فلم يبق منها إلا كتفها؟!»، وإذا رسول الله ﷺ يقول لها: «**كُلُّهَا بَقِيَ إِلَّا كَتِفُهَا**»!.

ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حيث يقول: «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت».

فماذا يجني البخيل من ماله وقد شحت به نفسه عن سبيل الله؟ إنه إنما يبخل-حين يبخل- على نفسه لا على أحد غيره، ونتيجة بخله سيتحملها هو، ولا يشاركه فيها أحد!

-49 ﴿❒◆✂✍✦ ✂✍♎⬂⬄♦♉☘☘❺
❒◆🕮❒☼☞←⚐◑ ✂✍♎⬂▦→◑•❷◆✂✍↗↓ 🗐
❒◆◑♑♍ ✍•✌♦◆❒♎⅄❒⬀✂☎ ④❒○⬄☞♦⌨⬀⑨♌✌⬀
♎•❒⬀✍◷✍ ↘☒❷⬀❸◆✍↗☠⬀ ⚐→⚐○ ••
③◆▤↗❒☼←❒☑✂☎ 🕮❒✍⬂✞•◷▣■▤↗✍﴾، هكذا يوجههم الله ـ تباركت ذاته ـ إلى حقيقة كبرى غفلوا عنها، حين أعماهم حرصهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

على أموالهم وشحهم بها. فلم يعودوا يرون أو يدركون أن الله لا يدعوهم إلى الإنفاق لحاجة إلى أموالهم، فلو شاء لأغنى فقراء المسلمين دون أن يعطيهم الأغنياء شيئًا، ولو شاء لنصر دينه دون قتال. ولو شاء لمنح المتقين من الأموال مايغطي نفقات الحروب ومطالبها، دون أن يسهم بخلاء الأغنياء بدرهم واحد في هذه النفقات. لماذا؟ لأنه هو الغني غنى كاملاً وجميع من سواه فقير إليه. وإذا كان هو الذي منح الناس حياتهم، ثم رزقهم بالأموال التي يصدون بها عن سبيله، فإنهم هم الفقراء إليه. تفضل عليهم بهذا الخلق [ ][*]

بالإنفاق هم أصحاب المال، حين يقدمونه اليوم في سبيل الله فيجدونه غدًا، ويثابون على إنفاقه. ولا يقع الضرر حين يبخلون به عن سبيل الله إلا عليهم، حين يكتشفون أنهم قد أضاعوه، وصرفوه على ملذاتهم الفانية، ولم يطهروه بالزكاة، ولا هم أسهموا بنصيبهم في نفقات الدفاع!

على أن غنى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن أموالهم ليس هو المدلول الكامل لهذا الغنى، فإنه يشمل ذواتهم. والله ـ عزَّ وجلَّ ـ قادر على أن يهلكهم ويذهب بهم إن هم أعرضوا عنه؛ لأنه ليس في حاجة إليهم، فإنه غني عنهم، قادر على أن يستبدل بهم قومًا آخرين يؤمنون به، ويطيعونه، ولا يبخلون بأموالهم!

وهذا الإنذار الشديد الذي نختم به السورة، يخيف كل مؤمن بالله من أن يعصيه، وقد قيل: إن المراد بالقوم الذين يستبدلون بالمتولين، أي

(*) هنا قدر سطر ونصف السطر غير واضح في الأصل المطبوع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

يؤتى بهم بدلاً من المتولين ـ هم أهل فارس ـ فقد روي أن رسول الله ﷺ سئل عمن يستبدل بهم إن تولوا، وسلمان إلى جنبه، فقال: «**هَذَا وَقَوْمُهُ**» ثم قال: «**لَوْ كَانَ الإِيْمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِس**»!

وأخيرًا فهذا آخر ما جرى به القلم في عرض سورة محمد أو القتال. وقد كنا نحب أن نعود على آياتها بالتفسير، لكن ضيق الوقت وكثرة الشواغل حالت بيننا وبين ما كنا نريد، فإلى لقاء قادم إن كان في العمر بقية، وشاء الله لنا أن نسعد بهذا العمل.

والله يتولانا بتوفيقه، ويعيننا على ما نحن بسبيله.

تم بحمد الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

المراجع

(أ) علوم القرآن والتفسير:

1- الناسخ والمنسوخ في القرآن لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة338هـ. ط الخانجي. بمطبعة دار السعادة بمصر سنة1323هـ.
2- الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة البغدادي؛ المفسر الضرير، المتوفى سنة410هـ مطبعة هندية على هامش أسباب النزول للواحدي.
3- نواسخ القرآن لأبي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة597هـ. مخطوطة مصورة لحسابي، عن ميكرو فيلم بمعهد المخطوطات العربية. تحت رقم 82"أ".
4- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني؛ المتوفى سنة502هـ. مطبوع.
5- مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني: الطبعة الأولى بمطبعة الجمالية بمصر سنة1329هـ.
6- البرهان في علوم القرآن للزركشي المتوفى سنة794هـ: مطبوع في أربعة أجزاء، بتحقيق أبو الفضل إبراهيم، بدار إحياء الكتب العربية.
7- أنموذج جليل في بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، لمحمد بن أبي بكر الرازي، بهامش إعراب القرآن للعكبري.
8- ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل، للشيخ سعيد الأنصاري، هندي تخرج في الأزهر. طبع الهند سنة1333هـ.
9- تفسير مقاتل بن سليمان الخراساني، المتوفى سنة150هـ، مخطوط في أربعة مجلدات ضخام. تحقيق الدكتور عبد الله محمد شحاته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

10- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وهو تفسير الطبري(محمد بن جرير المتوفى سنة310هـ)ط بولاق، ط دار المعارف.
11- معالم التنزيل للبغوي(الحسن بن مسعود بن محمد بن الفراء، أبو محمد، الحافظ المفسر المتوفى سنة516هـ ط مطبعة المنار سنة1343هـ.
12- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري(جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي؛ المتوفى سنة538هـ) ط المكتبة التجارية سنة1354هـ.
13- مفاتيح الغيب للرازي(محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين، المتوفى سنة606هـ) ط دار الطباعة العامرة باستنبول سنة1307هـ.
14- الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، المتوفى سنة671هـ) ط دار الكتب المصرية في عشرين جزءًا.
15- أنوار التنزيل للبيضاوي(القاضي عبد الله بن عمر، المتوفى سنة685هـ) ط التجارية في أربعة أجزاء.
16- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، المتوفى سنة741هـ) ط التجارية في أربعة أجزاء في مجلدين.
17- البحر المحيط لأبي حيان(أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، المتوفى سنة745هـ) ط مطبعة السعادة بمصر سنة1328هـ.
18- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير(أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة774هـ) ط الحلبي سنة1376هـ في أربعة أجزاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

19- الدر المنثور للسيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، المتوفى سنة911هـ) ط الميمنية سنة1314هـ في ستة أجزاء.
20- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود(محمد بن محمد ابن مصطفى العماري، المتوفى سنة982هـ) مطبوع بهامش مفاتيح الغيب.
21- محاسن التأويل للقاسمي(محمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة1332هـ) ط عيسى البابي الحلبي، في سبعة عشر جزءًا.
22- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا، المتوفى سنة1354هـ. مطبوع بدار المنار، ولم يتم.
23- سورة الأنفال- عرض وتفسير، للمؤلف. الطبعة الثالثة، نشر دار الفكر العربي.
24- تفسير سورة الأحزاب، للمؤلف الطبعة الأولى، نشر دار الفكر العربي.

(ب) علوم السنة والحديث:

25-صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة 256هـ. مطبوع بالمطبعة الأميرية في تسعة أجزاء.
26- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة 261هـ مطبوع بدار إحياء الكتب العربية في خمسة أجزاء.
27- سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث، المتوفى سنة 275هـ) النسخة التي حققها الشيخ محيي الدين عبد الحميد. وطبعتها التجارية.
28- سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة 275هـ) ط دار إحياء الكتب العربية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

29- سنن الترمذي، بشرح القاضى ابن العربي (والترمذي هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي: أبو عيسى، المتوفى سنة279هـ. والقاضي ابن العربي هو أبو بكر محمد بن عبد الله القرطبي، المتوفى سنة543هـ) ط المطبعة المصرية سنة1350هـ.
30- سنن النسائي(أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر، المتوفى سنة303هـ) ط المطبعة المصرية بالأزهر في ثمانية أجزاء.
31- صحيح ابن حبان (أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن التميمي. المتوفى سنة354هـ) الجزء الأول بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد شاكر، ط دار المعارف بمصر سنة1372هـ.
32- مسند أحمد بن حنبل(المتوفى سنة241هـ)، ط دار المعارف بتحقيق وتخريج وترقيم وتعليق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر، ولم يتم. و ط بولاق.
33- الكافي للكليني(وهو عند الشيعة كصحيح البخاري عندنا).ط مكتبة الصدوق بطهران.
34- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني، المتوفى سنة852هـ).
35- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (المنتقى لابن تيمية المتوفى سنة 828هـ، ونيل الأوطار للشوكاني المتوفى سنة1255هـ) ط عثمان خليفة سنة هـ1357 في ثمانية أجزاء.
36- من هدي السنة، للمؤلف بالاشتراك مع أستاذه الشيخ علي حسب الله، طبع ونشر دار الفكر العربي.
37- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ط الهند في اثني عشر جزءًا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

(جـ) في أصول الفقه:

38- الرسالة للشافعي(الإمام محمد بن إدريس، القرشي، صاحب المذهب الفقهي، المتوفى سنة204هـ).

(د) في علوم مختلفة:

39- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للسان الدين بن الخطيب (محمد ابن عبد الله بن سعيد، أبي عبد الله، المتوفى سنة776هـ) مطبوع ببولاق.

40- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني.

41- أساس البلاغة للزمخشري.

42- لسان العرب، لجمال الدين بن منظور الأنصاري، المتوفى سنة711هـ.

43- المصباح المنير للفيومي(أحمد بن محمد بن علي المقري، المتوفى سنة770هـ)

44- القاموس المحيط للفيروز آبادي(مجد الدين بن يعقوب الشيرازي المتوفى سنة816هـ).

ƎƎƎ

This file was downloaded from QuranicThought.com

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

المقدمة: لماذا نفسر القرآن؟

منهج في التفسير

كيف فسر القرآن الصحابة والتابعون؟

كتب التفسير حتى اليوم ومناهجها: عرض موجز ونقد

اتجاهات المفسرين

التفسير والتأويل

منهج في التفسير

من سورة آل عمران

بين يدي التفسير

(أ) لماذا سميت باسم آل عمران؟ ومن عمران هذا؟

(ب) أفي مكة أنزلت أم في المدينة؟ ومتى؟

(ج) دعاوى النسخ في السورة: عرض ومناقشة.

(د) الموضوعات التي عالجتها السورة في إجمال.

التفسير

فواتح السور ورأي في تفسيرها

قصة وفد نجران هي سبب نزول الآيات من 2-6 وتفسير هذه الآيات

المحكم والمتشابه وتفسير الآيات من7-9 في السورة وبيان معنى التأويل في استعمال القرآن الكريم

تفسير الآيات من10-13ووعيد للكفار

تفسير الآيات من14-17 وتتضمن:

طبيعة حب النفس لمتاع الدنيا، وأنواع هذا المتاع

ما أعد للذين اتقوا في الآخرة من نعيم مادي وروحي

سمات المتقين كما تحددها الآيات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من سورة النساء

بين يدي التفسير:
سورة النساء الكبرى مدنية كالصغرى، موازنة بين السورتين
موازنة بين بدء سورة النساء وبدء سورة الحج
عرض سريع لآياتها، وعلاج مشكلة الضعفاء الثلاثة
التفسير:
الآيات من 1-10 في السورة وتشمل:
نداء الناس وإبطال أن يراد به كفار العرب خاصة
التقوى وما يراد بها في لغة القرآن
النفس الواحدة وهل يجب أن يراد بها آدم؟
رعاية اليتامى.. وتعدد الزوجات.. وحق النساء في المهور
ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا
رد أموال اليتامى إليهم وشروطه
حق الجنسين في الميراث وبعض ما يترتب عليه لمن يحضرون القسمة
خطاب للآباء في الأوصياء. ووعيد شديد لآكلي مال اليتامى ظلمًا
آيات المواريث(11و12و176 في السورة) تفسيرها وإبطال حجج الشيعة في الاعتماد لمذهبهم عليها
حدود الله، التزامها والجزاء عليها، ومخالفتها وجزاؤها
آيتا الفاحشة، تفسيرهما وإثبات واقعة النسخ بآية النور وإبطال تفسير أبي مسلم ومحمد عبده لهما.
آيتا التوبة بنوعيها المقبولة والمردودة

آيات الوصايا العشر

أحاديث وآثار في مكانة هذه الآيات الثلاث
إجمال للوصايا بترتيبها في الآيات
ما المراد بقوله: ﴿❍◻❷▪⚐♦ ❻◆🙵🙞⌛→⚕⬀ ⬂♦◘■⑩⬂⌛→⚕⬀﴾؟ وكيف يشمل الأوامر والنواهي؟
لماذا ورد في كل آية ذلك التعبير: ﴿❶•🕒🙘🙟⌛→⚕⬀

This file was downloaded from QuranicThought.com

لماذا جاءت فواصلها الثلاث بالترتيب الذي جاءت به؟

الوصية الأولى: وجوب التوحيد وتحريم الشرك

الوصية الثانية: حق الوالدين على الأولاد

الوصية الثالثة: النهي عن قتل الأولاد

الوصية الرابعة: ولا تقربوا الفواحش

الوصية الخامسة: تحريم القتل إلا بالحق، وبيان هذا الحق

الوصية السادسة: رعاية الجماعة لليتيم

الوصية السابعة: توفية الكيل والميزان جهد المستطاع

الوصية الثامنة: العدل في الشهادة، وفي الحكم

الوصية التاسعة: الوفاء بعهد الله

الوصية العاشرة: اتباع سبيل الله وتجنب سبل الشيطان

سورة القتال

بين يدي السورة

عرض عام للسورة

الآيات1-3 بين الكفار والمؤمنين

الآيات4-6 الأمر بضرب الكفار، وأحكام الأسرى وأجر الشهداء

الآيات7-9 خطاب المؤمنين، ووعد بالنصر وشرطه، وهلاك الكفار وسره

الآيات10-11 تقريع الكفار، وإنذار لهم بالعذاب، وموازنة بينهم وبين المؤمنين ومبناها

الآيات12-14 عمل المؤمنين وجزاؤهم عليه، موازنة بعمل الكفار وجزائهم. إنذار لكفار مكة بين أهل البينة وأهل الهوى

الآية15- وصف لنعيم أهل الجنة. وعذاب النار

الآيات16-19 وصف المنافقين أو صورة لهم.. وأمر الرسول بالتوحيد والاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات

الآيتان20و21 المنافقون... مرة أخرى

الآية23 نهي عن الإفساد في الأرض وقطع الرحم

This file was downloaded from QuranicThought.com

الآيتان23و24 لعنة الله للمنافقين وأثرها عليهم، إغلاق قلوبهم دون كلام الله
الآيات25-28 أوصاف وأحكام عن المنافقين
الآيات29-32 حديث عن المنافقين، وحديث إلى المؤمنين
الآية33 نداء إلى المؤمنين، وأمر بالطاعة
الآيتان34و35 عدم المغفرة في الآخرة للذين ماتوا كفارًا. نهي للمؤمنين عن الضعف وقبول الضيم.
الآيات36-38 حقيقة الحياة الدنيا.. دعوة إلى الإنفاق. وإنذار للبخلاء
المراجع

This file was downloaded from QuranicThought.com